دور الفيسبوك في اندلاع الثورة المصرية

دراسة سوسيولوجية لموقع "كلنا خالد سعيد"

صالح سليمان عبدالعظيم(*)

ملخص: تحاول الدراسة الراهنة تعرف دور "الفيسبوك" في ثورة الخامس والعشرين من يناير، وذلك من خلال التركيز على أحد المواقع المهمة التي ظهرت في 10 يونيو 2010، وهو موقع "كلنا خالد سعيد". كما تسعى الدراسة إلى تعرف آليات استخدام هذا الموقع في المرحلة التي سبقت الثورة المصرية على وجه الخصوص بما يكشف – بدرجة أو بأخرى – عن دور هذه المواقع في التأسيس لقيام الثورة ومن ثم اندلاعها.

وسوف تعتمد عملية التحليل المنهجية على قراءة صفحات الموقع كافة، منذ إنشائه حتى اندلاع الثورة المصرية؛ حيث ترتكز طريقة التحليل على قراءة جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة بالأحداث المتعلقة بالموقع. وستحلل هذه الصفحات والصور والأغاني والأفلام والتعليقات بطريقة أقرب إلى تحليل المضمون الذي يعتمد على الوحدات التحليلية الصغيرة، مثل الكلمة والجملة والصورة والموسيقى والتعبير والكاريكاتير؛ بما يساعد على تحديد أهم القضايا العامة التي ارتبطت بالموقع والقائمين عليه والمشاركين فيه، وبما يؤسس – في النهاية – لوضع ملامح عامة للخطاب المتشكل عبر هذا الموقع.

وفي ضوء هذا التحليل لا يمكن القول إن "الفيسبوك" وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي هي السبب في اندلاع ثورات الربيع العربي، بما فيها الثورة المصرية، بقدر ما يمكن القول إن استخدام هذه الوسائط قد ساعد وحفز على التسريع باندلاع هذه الثورات، وأمدها بعناصر قوة جديدة وغير مسبوقة في تاريخ الثورات البشرية.

(*) قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.
salehabdelazim@hotmail.com

المصطلحات الأساسية: مواقع التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، ثورة الخامس والعشرين من يناير، موقع "كلنا خالد سعيد"، تحليل المضمون، الحركات الاجتماعية الجديدة.

حول موضوع الدراسة:

وفرت "الإنترنت" سهولة التعبير عن الذات من خلال الأدوات التي تشتمل عليها، مثل المواقع الاجتماعية والمدونات والبريد الإلكتروني ومواقع الدردشة المختلفة، وغيرها من الأدوات الأخرى التي تمكّن المستخدمين من الولوج والتعبير عن الذات ومواجهة السلطات الحاكمة وفضح أشكال الفساد التي تمارسها. وتتميز "الإنترنت" في أنها يمكن أن تُستخدم من ناحية لطلب العون والمساعدة في القضايا السياسية والمسائل المتعلقة بحقوق الإنسان، كما أنها يمكن أن تمثل – من ناحية أخرى – عامل ضغط على القوى التي تنتهك تلك الحقوق، مثل الحكومات والدول الاستبدادية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الإنترنت" – كأداة تواصل جديدة وعصرية – جمعت بين المادة المقروءة، مثل الصحف والموضوعات المكتوبة المختلفة وبين المادة المرئية والمسموعة، مثل الأفلام والأحداث وسماعها، وبين إمكانات التواصل الجديدة التي يمتلكها "التليفون" مثل استخدام الإيميل ومواقع التواصل الاجتماعي. فكأننا هنا عبر هذه الأداة نمتلك إمكانات التواصل الشاملة التي تستخدمها جميع الوسائل الأخرى: التقليدية والحديثة منها. كما أن "الإنترنت" تسمح للمستخدمين بأن يحددوا نوعية المادة المرسلة ومتى يرسلونها، إضافة إلى ذلك فإنها سمحت لمستخدميها بالتعامل مع كم ضخم وهائل من المعلومات التي يتبادلونها فيما بينهم (Tolbert and McNeal, 2003: 175).

وتختلف "الإنترنت" عن البث عبر الإستديوهات؛ حيث الشكل التقليدي الذي يستلزم مرسلاً ومستقبلاً ورسالة موجهة لقطاع كبير من الجماهير دون وجود تفاعل مباشر من جانبهم أو قدرات حقيقية للمستقبلين، يمكن من خلالها التفاعل مع المادة المرسلة إليهم. أما عبر "الإنترنت" فلا يوجد مركز محدد للمعلومات؛ فكل فرد هو ذاته مرسل ومستقبل، كما أنه – نظرياً على الأقل – يمتلك كل فرد قوة معينة تكفل له تحقيق تواصل معين تعبيراً عن أجندته السياسية المحددة من قبله. وتساعد هذه القدرات التواصلية الجديدة على إنتاج مجتمعات افتراضية

عديدة، تتواصل عبر القرية الكونية متجاوزة حدودها المحلية والإقليمية (Fisher *et al*, Murgolis, and Resnick, 1996: 13-14).

إضافة إلى ذلك فإن "الإنترنت" تثير مجموعة من القضايا الإشكالية المهمة؛ فوفقاً لكيوكير Cukier فإن "الإنترنت" – قبل أن تكون أسلاكاً ووصلات وتكنولوجيا – تتشكل من مجموعة قيم دعمت من خلالها ومنذ نشأتها حرية التعبير، والاستخدام الرخيص لها والوسائط المرتبطة بها، والتجديد والاختراع. كما أن "الإنترنت" نشأت في أحضان القطاع الخاص؛ الأمر الذي دعم عدم بيروقراطيتها وعملها بمعزل عن سلطة الدولة (Cukier, 2005: 9 -10; Mansour 2012).

وفي هذا السياق كان ظهور "الفيسبوك" Facebook – كإحدى شبكات التواصل الاجتماعي الجديدة المرتبطة بـ"الإنترنت" – حدثاً غير مسبوق في التواصل بين البشر وتعظيم قدراتهم على رسم عوالم جديدة متشابكة مع حياتهم اليومية. وعلى الرغم من ارتباط معظم الممارسات الخاصة بهذه الشبكة بالجوانب الاجتماعية بين المستخدمين، فإنها اختلفت في مصر بسبب وطأة التأثيرات السياسية والاقتصادية لتنتقل من مستوياتها الاجتماعية إلى مستوياتها السياسية من خلال مواجهة السلطات الحاكمة في مصر، وهو أمر ظهرت أبرز تجلياته في حدوث الثورة المصرية المباركة في 25 يناير 2011. فقد كان حدوث الثورة تتويجاً واضحاً لدخول وافد جديد على ساحة الصراعات السياسية، متمثلاً في "الإنترنت" والآليات المرتبطة بها.

ولقد أدى الواقع العربي بعامة، والمصري بخاصة، دوراً كبيراً في تحول الأفراد إلى استخدام "الإنترنت" والتعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي، وهو أمر لم يبدأ بالتأكيد بالتناول السياسي المباشر بقدر ما بدأ بالحوارات والدردشات الاجتماعية العادية. لكن وطأة الواقع السياسي والدور القمعي للحكومات العربية أسهم في استخدام "الإنترنت"، ومن ثم مواقع التواصل الاجتماعي كمنفذ حرية جديد يمكن من خلاله تبادل الأفكار، ومن ثم مواجهة السلطات الحاكمة. من هنا ظهر العديد من مواقع التواصل الاجتماعي في مختلف دول العالم العربي، وبدرجات متفاوتة بحسب مستوى الحرية الذي تسمح به هذه الدول. وبسبب حداثة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في عالمنا العربي فإن التأثيرات المختلفة المرتبطة بها والأدوار التي تؤديها في تأجيج الصراعات السياسية، ومن ثم اندلاع الثورات في

دول الربيع العربي مازالت بعيدة عن التقييم العلمي الموضوعي؛ الأمر الذي يستدعي إجراء العديد من الدراسات الميدانية والتحليلية؛ بما يساعد على تقييم هذه المواقع وحجم التأثير الخاص بها حاليا ومستقبليا.

وفي ضوء ذلك تحاول الدراسة الراهنة تعرف دور "الفيسبوك" في ثورة الخامس والعشرين من يناير، وذلك من خلال التركيز على أحد المواقع المهمة التي ظهرت عبره في 10 يونيو 2010 وهو موقع "كلنا خالد سعيد". وتنبع أهمية هذا الموقع من أنه ظهر مباشرة بعد مقتل الشاب "السكندري" خالد سعيد على يد قوات الشرطة المصرية في السادس من يونيو 2010، واستخدام الآليات المختلفة المتوافرة على "الفيسبوك" من أجل التعبئة السياسية للمواطنين بشكل عام، والشباب منهم بشكل خاص، كما سوف نوضح لاحقاً. وتسعى الدراسة أيضاً إلى تعرف هذه الآليات وكيفية استخدامها في المرحلة التي سبقت الثورة المصرية على وجه الخصوص؛ بما يكشف – بدرجة أو بأخرى – عن دور هذه المواقع في التأسيس لقيام الثورة ومن ثم اندلاعها.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء ما سبق تحاول الدراسة الراهنة الإجابة عن التساؤلات التالية:

1 – ما آليات استخدام "الفيس بوك" على موقع "كلنا خالد سعيد"؟

2 – ما نوعية القضايا التي طرحها المستخدمون على موقع "كلنا خالد سعيد"؟

3 – ما آليات التواصل بين الأفراد، وكيفية توسيع نطاق المشاركة فيما بينهم؟

4 – ما طبيعة التوجهات السياسية والأيديولوجية لهذا الموقع؟

5 – كيف أمكن الربط بين هذه الممارسات في ضوء العالم الواقعي في الحياة اليومية وربطها بالعالم الافتراضي عبر "الفيسبوك"؟

6 – كيف أسهمت آليات "الفيسبوك" بشكل عام، وموقع "كلنا خالد سعيد" بشكل خاص، في اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير؟

7 – أيمكن الاعتماد على الفيس بوك وغيره من الوسائط في ضمان نجاح الثورة المصرية أم أن حدود هذا النجاح قد انتهت باستيعاب النظم الحاكمة العربية الأخرى لمخاطر هذه الأنواع من شبكات التواصل الاجتماعي؟

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات العربية والأجنبية على السواء دور "الإنترنت" في التواصل الاجتماعي بشكل عام والمشاركة السياسية بشكل خاص. وتتركز الدراسات على دور "الإنترنت" مجتمعياً، والتفاوتات في استخدامها من دولة إلى أخرى، إضافة إلى الأدوار الهائلة التي قامت بها وسائل التواصل الاجتماعي، مثل "الفيسبوك" و"التويتر" في الممارسة السياسية في العالم العربي، وبشكل خاص دورهما الواضح في اندلاع الثورات العربية. كما أن الكثير من هذه الدراسات تناول أهمية "الإنترنت" ودورها في التواصل المحلي والكوني؛ فـ"الإنترنت" غيرت مفهوم الجغرافيا بشكل كبير وألغت الحدود المكانية، كما غيرت المعاني التقليدية للتاريخ، ونقلته من مستوياته الزمنية المرتبطة بالماضي والمتعارف عليها، إلى مستوياته اليومية المعيشة عبر ممارسات الأفراد العاديين. لقد أصبح بإمكان هؤلاء الأفراد أن يشيدوا تاريخاً للأحداث ومتابعة غير مسبوقة للحياة اليومية والتحولات المرتبطة بها، وهي مسألة لم تكن متوافرة سابقاً. وترتبط "الإنترنت" بعصر المعلوماتية الجديد الذي نعيشه الآن، متجاوزين بذلك وسائل الاتصال التقليدية مثل الصحف والكتب والإذاعة والتلفزيون. فنحن نعيش عصراً جديداً يرتبط بالنقل السريع واللحظي، إضافة إلى كم المعلومات الذي يتجاوز مقدرة الأفراد والمؤسسات على الإلمام بها، ناهيك عن فهمها وتفسيرها (Peterson, 2011; Faris, 2008; Cairncros, 1997; Pickles, 1995; Mansour 2012؛ السيد بخيت 2000؛ السيد بخيت 2012).

ويرى فيشر وآخرون Fisher et al. 1996 أن تفاعل المواطنين عبر "الإنترنت" يحتاج اهتماماً أكبر من علماء السياسة؛ فـ"الإنترنت" توفر سياقات جديدة يمكن من خلالها تعرف طبيعة الرأي العام للمواطنين والتوجهات الخاصة بهم، ولا يقف الأمر فقط عند حدود الرأي العام، إذ إنها تؤدي دوراً كبيراً في تعرف مسار العملية الديمقراطية والتنبؤ بالمسارات الخاصة بها. كما أنها تخلق – من خلال التطور التكنولوجي والجماعات العديدة التي تمارس توجهاتها المختلفة عبرها؛ بما يؤدي لاعتبارها مجتمعات افتراضية، فضاء عاماً جديداً يستدعي من علماء السياسة تعرفه والإلمام بالجوانب الخاصة به. (Fisher et al., 1996: 13-14).

وتبرز الأهمية الكبرى بالنسبة إلى التعامل مع "الإنترنت" في أنها تتيح استخدامها من خلال توجهات وأنشطة مختلفة بشكل يكاد يكون مجانياً.

فـ"الإنترنت" تتيح النشاط السياسي والأيديولوجي والتعبير عن المصالح المختلفة بشكل بالغ الرخص لم يعهده العالم من قبل. ويرتبط بذلك أيضاً ذلك الانتشار والذيوع غير المسبوقين في استخدام أداة اتصال معينة؛ فنحن أمام أداة تكفل لنا تحقيق العديد من الأشياء، أهمها اللحظية من ناحية نشر الحدث والتعامل معه في أثناء حدوثه، ثم الانتشار غير المسبوق؛ فبمجرد نزول الحدث أو التعبير عنه على صفحات "الإنترنت" فإن ذلك يعني إمكانية نقله لمستويات كونية جغرافية واسعة وجديدة؛ بما يضمن الإبلاغ عنه وإيصاله لأكبر عدد من المستخدمين والمتابعين. ولم يعد هذا النقل أو البث مرتبطاً فقط بالمساحات المحلية لكنه تجاوز ذلك إلى مساحات إقليمية وكونية أوسع؛ فـ"الإنترنت" تكتسب أهمية أخرى تتعلق بتلاشي الحدود بين المحلي والكوني Local and Global، فالكثير من القضايا المحلية تنتقل بسهولة لترتبط بمساحات كونية جديدة، والعكس أيضاً صحيح؛ حيث تنتقل القضايا الكونية لتجد لنفسها تجليات على المستويات المحلية والتأثيرات الجديدة المرتبطة بها.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى دراسات كاستيلز التي قدمت توصيفاً وتحليلاً ممتازاً لدور أنماط الإنتاج القائمة على المعلوماتية وتبادلها. ووفقاً لكاستيلز Castells فإن نمط الإنتاج المميز لهذا العصر هو "نمط الإنتاج المعلوماتي" Informational Mode of Production (Castells, 1989, 1996, 1997). ومن أهم سمات هذا النمط أنه يختلف عن أنماط الإنتاج الصناعية المتعارف عليها، مثل مرحلة الإنتاج ما بعد الفوردية؛ حيث يتميز نمط الإنتاج المعلوماتي الحالي بالتكثيف الهائل لعنصري الزمان والمكان؛ فلأول مرة في التاريخ تنقل المعلومات بمثل هذا الشكل السريع جداً من خلال النقل اللحظي للأحداث والتغيرات المرتبطة بها. وترى كارولي Carroli أن مجتمع "الإنترنت" تنطبق عليه التوجهات ما بعد الحداثية أكثر من التوجهات الكلاسيكية للمجتمعات الإنسانية، حيث تتلاشى المسافات بين الداخل والخارج، وبين الفرد والمجتمع، وبين الفاعل والموضوع، وبين الذات والآخرين (Carroli, 1997: 359).

وهناك العديد من الدراسات التي ترى "الإنترنت" بوصفها مسرحاً جديداً لجميع الاتجاهات والأيديولوجيات اليسارية واليمينية على السواء. فالجميع دخل مسرح "الإنترنت" ناشداً تحقيق هدف معين، لكن السياق الأشمل لـ"لإنترنت" يؤكد أنها مثلت مسرحاً للجماعات التي لم تجد لديها إمكانية التعبير عن نفسها في

الواقع الفعلي والقدرة على مهاجمة الخطابات السائدة؛ فقد كانت أداة الضعفاء والمحرومين سياسياً. وهو ما يعني في النهاية أننا أمام جماعات كثيرة غير متجانسة تستخدم "الإنترنت" وفقاً لأهدافها التي تدافع عنها في الواقع الفعلي. فـ"الإنترنت" تعتبر أحد المنتجات الثقافية الحديثة، وهي أداة حُبلى بالعديد من العلاقات المختلفة بين المستخدمين، كما أنها تنطوي على استخدام وسوء استخدام للقوة (انظر فتحي حسين عامر 2011؛ السيد بخيت 2012، 2000؛ دون تايسكوت 2012؛ Pickles 1995؛ (Harb 2011.

ويرى محمد Mohamed 2011 (Online) أن المدونات Blogs – وهي وسيط يمكن تعميمه أيضاً على "الفيسبوك" وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي – تدعم المساواة، من ناحية إمكانية إنشائها دون تكلفة وبأي طريقة ما دام لدى المرء إمكانية ولوج "الإنترنت" والتعامل معها، وهي مسألة – على الرغم مما يرتبط بها من تكلفة نسبية – قد أصبحت متاحة لشرائح اجتماعية عديدة. وفي هذا السياق، يرى الكاتب أن المدونين يأتون من مختلف الشرائح الاجتماعية دون الارتباط بشريحة معينة، وليس من بين المتعلمين تعليماً عالياً فقط أو الأغنياء. ووفقاً لمحمد فإن هذه المدونات، حتى إذا ما بدأت من خلال المتعلمين والأغنياء فإنها تنتقل لاحقاً إلى باقي الشرائح الاجتماعية الأخرى، بسبب طبيعتها المقاومة لهيمنة الصوت الواحد كما كان يحدث قبلاً مع وسائل الاتصال التقليدية؛ فمن بين أهم سمات "الإنترنت" والوسائط المرتبطة بها أنها تلغي تماماً مسألة الصوت الواحد وما يرتبط بها من مركزية وهيمنة (Coleman 2005).

وكون "الإنترنت" منتجاً تكنولوجياً بالأساس لا يعني انتفاء العنصر الإنساني عنها؛ فهي، مثلها مثل أي منتج تكنولوجي آخر، تنطوي على الجانب المادي المرتبط بالتطور التقني والجانب الإنساني المرتبط بالممارسات المجتمعية التي تضفي على هذا المنتج أبعاداً جديدة، ربما لم تكن في مخيلة المخترعين له، وعلى رأسها حدود استخدام "الإنترنت" والقيود التي تفرضها الدول والحكومات عليها، وبشكل خاص في العالم العربي (انظر محمد سيد ريان 2011؛ إيهاب الزلاقي 2006؛ مينا زكري 2008).

ويحاول كل من إيهاب الزلاقي ومينا زكري في دراستيهما الكشف عن التحديات التي تواجه استخدام "الإنترنت" من قبل الحكومات العربية والقيود المختلفة التي تفرضها على استخدام "الإنترنت" وملاحقة مستخدميها، وعلى الرغم من ذلك فهما

يؤكدان الدور الهائل الذي تؤديه "الإنترنت" في فضح الفساد والممارسات المختلفة المرتبطة بانتهاك حقوق الإنسان. وقد استند تقرير الزلاقي إلى لقاءات ميدانية مع نشطاء "الإنترنت"، واستطلاع رأي أعدته الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان والعديد من التقارير الحقوقية والصحفية فضلاً عن رسائل متبادلة بين الشبكة وبعض أصدقائها في العالم العربي. وهو أمر كشف عن الحرب المستعرة بين "الإنترنت" والحكومات العربية التي باتت تؤرقها هذه الأداة؛ لما توفره من إمكانات لا تستطيع أن تطولها يد القمع مثلما كان يحدث مع الوسائل التقليدية مثل الصحف والمجلات والكتب المنشورة. وهو أمر تبرزه بجلاء الدراسات والمناقشات التي قام بتحريرها مينا زكري 2008، والتي تثبت أهمية النشر الإلكتروني في مجال حقوق الإنسان، وبشكل خاص في مقاومة التعذيب الذي استطاع هذا النشر فضحه بشكل فاق – بدرجة كبيرة – الطرق التقليدية القائمة على النشر الورقي بأنواعه المختلفة، وذلك على مستوى العالم العربي ككل. وتستخدم "الإنترنت" في مجالات عديدة، مثل نشر الوثائق والأسئلة وطرح الحلول المختلفة لها وربط الناس بعضهم ببعض عبر استخدام البريد الإلكتروني والقوائم العديدة التي تشملهم معاً؛ بحيث يتواصلون بسهولة ويسر، والأهم من كل ذلك تحقيق السرعة المطلوبة في إخبارهم بالمعلومات والتعليمات والمستجدات الجديدة. كما يمكن استخدام "الإنترنت" في تنزيل البرامج المتنوعة وطلب المعلومات من المصادر المختلفة وحل المشكلات وإيجاد الحلول المبتكرة لمواجهتها. إضافة إلى ما سبق فإن "الإنترنت" قد أصبحت مجالاً واسعاً للممارسات السياسية المختلفة مثل الدعوة لحقوق الإنسان، وعمل منظمات المجتمع المدني؛ وبمعنى آخر فقد أصبحت ساحة خصبة لدعاة المصالح والتوجهات السياسية والأيديولوجية المختلفة، سواء أكانت مدنية أم دينية أم سياسية أم فكرية أم ثقافية. فـ"الإنترنت" تشتمل على المدافعين عن حريات الأقليات الدينية والعرقية والإثنية والهويات وحقوق المرأة وغيرهم من أصحاب الحقوق المختلفة والمطالبين بها (Warf and Grimes, 1997: 263).

ويتفاوت وضع "الإنترنت" من دولة إلى أخرى في ضوء طبيعة الحالة السياسية لها، وإذا ما كانت تتسم بالديمقراطية أم لا؛ فوضع "الإنترنت" في الدول الغربية – على سبيل المثال – يختلف اختلافاً كبيراً عن وضعها في الدول العربية. فبينما تتسع ممارسات الأفراد في الأولى، فإنها تُقيد في الثانية من قبل السلطات الحاكمة، وهي مسألة نلاحظها في العديد من دول المنطقة مثل سوريا والسعودية

وتونس، كما نلاحظها في العديد من الدول الأخرى التي تقيد استخدام "الإنترنت" وتضع العديد من الضوابط التي تحجب مواقع معينة وتمنع المستخدمين من الوصول إليها والاطلاع عليها، مثل الصين وأوكرانيا وميانمار وإيران وكوبا وفيتنام (Drezner, 2010: 35-37; Chepesiuk and Werberg 1998; Guillén and Suárez .2005; Jordan 1999; Hrab 2011; Lynch 2011)

ويرى دريزنر Drezner أنه في الدول الديمقراطية تقوم "الإنترنت" بدور بالغ في التأثير على العلاقات بين الدولة والمجتمع المدني بما يسمح بدور أكبر للأخير، مقابل ذلك فمن غير المتوقع أن يكون لـ"الإنترنت" الدور نفسه في الدول التسلطية المهيمنة؛ حيث تقوم بدور كبير في مراقبة "الإنترنت" والهيمنة عليها، لكنه على الرغم من ذلك فإنه يرى أنه في الدول التي تسمح باستخدام "الإنترنت" و"التليفونات" المحمولة لأغراض تجارية فإنها سوف تواجه صعوبات جمة في تفعيل مراقبة "الإنترنت" والسيطرة على مستخدميها .(Drezner 2010: 39). ومن خلال دراسة مقارنة بين الصين وكوريا الجنوبية يحاول شانج Chung 2008 أن يبين الكيفية التي أثر بها القادة في البلدين على استخدام "الإنترنت"، وأثر بها الأفراد، من خلال استخدامهم لها، على السياسات العامة في الدولتين، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين "الإنترنت" والنظام السياسي، كاشفاً عن الدور الديمقراطي للحكومة الكورية مقابل الدور القمعي للحكومة الصينية بالنظر إلى استخدام "الإنترنت" على الرغم من الانفتاح الاقتصادي الصيني غير المسبوق. وهو ما يتفق مع دراسة تيتلباوم Teitelbaum 2002 التي يرى من خلالها أن الحكومة السعودية تحاول استخدام "الإنترنت" فيما يتعلق بالتحديث وقطاع الأعمال، لكنها تحاول في الوقت نفسه الحفاظ على القيم المحافظة الإسلامية التي تتبناها المملكة، ويتم ذلك من خلال القيام بعملية متابعة مستمرة لمحتوى "الإنترنت" والسماح بتمرير ما يتوافق مع قيم المملكة المحافظة، وعلى الرغم من ذلك فإن المؤلف يرى أن هذه الهيمنة والمراقبة غير مطلقة تماماً على واقع "الإنترنت" الذي يكفل للمستخدمين وسائل كثيرة للالتفاف على قمع السلطات وهيمنتها.

وتكشف ليرنر Lerner 2012 – من خلال دراستها لحالتي إيران ومصر التي تناولت فيها مدونة "ويبلوجستان Weblogistan" في الأولى، وتناولت حركة كفاية ومدونات الإخوان المسلمين في الثانية – أن "الإنترنت" تؤدي دوراً كبيراً في الممارسات السياسية إذا استطاعت الجمع بين الفضاء الإلكتروني والعالم الواقعي؛

بمعنى أن "الإنترنت" بمفردها لن تنجح في دعم الحركات الاجتماعية والسياسية من دون الجمع بين الممارسة الافتراضية والممارسة الواقعية. ويمثل الجمع بينهما عامل نجاح للثورة المصرية بسبب خروجها من العالم الافتراضي إلى الممارسات الفعلية الواقعية حيث الاعتصامات والمظاهرات الواسعة النطاق. كما يكشف كل من وارف وجريمس Warf and Grimes في دراستهما المعنونة "خطابات مواجهة الهيمنة" و"الإنترنت" عن أهمية الأنشطة المختلفة عبر "الإنترنت" Cyberactivism لكن هذه الأنشطة غير كافية بحد ذاتها؛ فهي أنشطة مكملة لصراعات العالم الواقعي نيابة عن الضعفاء وفاقدي القدرة على التعبير.

ويتناول Acquisti and Gross موقع Facebook على وجه التحديد؛ حيث يكشف عن مسألة على قدر كبير من الأهمية، تتعلق بمدى جاذبية هذا الموقع من ناحية تفاعل الأفراد المشاركين فيه وجاذبية التفاعل ذاته، لكنه يربط بين ذلك ومسألة الخصوصية والأمن التي ترتبط بالتعامل مع هذا الموقع. وتعتمد هذه الدراسة على عينة ممثلة من الأعضاء المنتمين للموقع الاجتماعي الخاص بالكليات والمدارس الثانوية على صفحة "الفيسبوك" في الولايات المتحدة، مع مقارنة المادة التي جمعت بالمعلومات المستخلصة من الشبكة نفسها. وتنبع عملية الجذب من سهولة التعامل مع الموقع والاتصال مع الآخرين، فمواقع التواصل الاجتماعي تجمع بين العديد من الوظائف المختلفة مثل الترفيه وجمع المعلومات والنشاط السياسي والاجتماعي والرغبة في تحقيق الذات والدفاع عن الهوية. وهي وظائف يكشف عنها بارك وآخرون Park et al في ضوء دراستهم الميدانية التي أجريت على 1715 من طلبة الجامعات في الفئة العمرية من 18 إلى 29 سنة في جامعتين من جامعات مدينة تكساس الأميركية؛ حيث بينوا وجود أربعة احتياجات أساسية وراء استخدام "الفيسبوك" تتمثل في الاحتياجات: الاجتماعية، والترفيهية، واكتساب مكانة ذاتية، وأخيراً اكتساب المعلومات. كما بينوا من خلال دراستهم أن الجانب المعلوماتي أكثر ارتباطاً بالفعل السياسي والمدني من الجانب الترفيه (Park, Kee and Valenzuela, 2009).

وأوضحت ألكسندر وأوراغ Alexander & Aouragh 2011 من خلال تحليلهما القائم على المقابلات والملاحظات الشخصية الدور الذي أدته "الإنترنت" في الحراك الاجتماعي والسياسي في مصر؛ فـ"الإنترنت" أدت – من خلال التواصل المستمر بين المستخدمين – دوراً كبيراً في الزخم السياسي الحادث في مصر، وهو أمر أدى إلى حراك آخر على المستوى الفعلي. وتؤكد القدسي Alqudsi-ghabra 2012 في

دراستها عن مصر وليبيا وتونس ما توصلت إليه ألكسندر وأوراغ من خلال ما أبرزته بخصوص الدور الهائل للتكنولوجيا، وبشكل خاص مواقع التواصل الاجتماعي في دعم الثورات، كما أكدت أيضاً الدور الهائل المتوقع منها إذا ما كان ذلك مصحوباً بارتفاع نسب التعليم في العالم العربي عما هي عليه الآن. وعلى الرغم من ذلك فإن البعض يحذر من تعميم التأثيرات الخاصة بمواقع التواصل الاجتماعي، والتحفظ على إطلاق الأحكام المرتبطة بها، وبشكل خاص في مسارات التغيير السياسي؛ حيث يرى ساباديللو Sabadello 2011 أن وسائل التواصل الحديثة سوف يكون لها دور في تغيير المجتمعات العربية وتحولها، ضمن عوامل أخرى، وهذا هو الوضع نفسه الذي أدته أثناء اندلاع الثورات العربية، بما يؤكد أنها تمثل في التحليل النهائي عاملاً مهماً للتغيير والتحول ضمن عوامل أخرى لا تقل أهمية.

وتبرز حرب Harb 2011 مسألة على درجة كبيرة من الأهمية تتمثل في الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في الحراك السياسي المجتمعي في ضوء تناولها لدول ثورات الربيع العربي؛ فوفقاً لها فإن أربعة من كل عشرة تونسيين كانوا متواصلين مع "الإنترنت"، وتقريباً فإن 20% منهم كانوا يستخدمون "الفيسبوك". ويتعدى الموضوع مجرد الاستخدام لمواقع التواصل الاجتماعي لكنه يرتبط بمسألة على درجة كبيرة من الأهمية، تتمثل في نوعية المستخدمين؛ حيث تُبين حرب أن ثمانية من كل عشرة مستخدمين تونسيين لـ"الفيسبوك": هم من الشباب تحت سن الثلاثين، وهو الرقم نفسه الذي يمكن رده لمستخدمي "الفيسبوك" في مصر، وفقاً لحرب. كما تبرز في دراستها مسألة التكامل الحادث بين القنوات الفضائية ومواقع التواصل الجديدة في إمداد المواطن العربي بالمعلومات بشكل سريع ومتوافر. وكشف شبيب وسهيل Chebib and Sohail 2012 الدور الذي أدته مواقع التواصل الاجتماعي مثل "الفيسبوك" و"تويتر" و"اليوتيوب" في تقديم التسهيلات المختلفة لعمل الحركات السياسية المختلفة؛ الأمر الذي سرّع من قيام الثورات والحركات الاحتجاجية في العالم العربي. وهو ما أكدته سحر خميس وكاثرين فاجن في دراستهما التي تركزت على موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" الذي شهد – من وجهة نظرهما – عملية تسييس من خلال استخدام المصريين له في حملاتهم ضد الحكومة والنظام السياسي فيما يطلق عليه "Politicization of Facebook" (Khamis and Vaughn, 2011; Ayres 1999; Eltahawy 2008).

وعلى الرغم من الدور الذي يبرزه سولومون Solomon 2012 بالنسبة إلى كل

من "الفيسبوك" و"تويتر" في ثورة الخامس والعشرين من يناير اعتماداً على مقابلات مهمة أجراها مع المتظاهرين، فإنه يكشف عن نتيجة مهمة جداً، تتعلق بكون المعلومات التي نحصل عليها من خلال "الإنترنت" والمستخدمين لها قد تكون مفيدة في تقديم إطار تحليلي جيد بخصوص دور وسائل التواصل الحديثة وتأثيرها على الواقع السياسي في بعض الأحيان، وقد تكون غير مفيدة في أحيان أخر. وهذا أمر يبين أنه لا يجب الاعتماد على المعلومات المتحصل عليها عبر "الإنترنت" فقط بقدر ما يجب الجمع بينها وبين الواقع الفعلي المحيط بما يمكِّن من طرح أطر تحليلية ومنهجية، تساعد في فهم تأثيرات أشكال التواصل الحديثة على الممارسات السياسية والتغيرات الناجمة عنها.

وفي دراسة حديثة حول "العلاقة بين المدونات الإلكترونية والمشاركة السياسية في مصر" بينت عبدالفتاح 2012 أن المدونات أدت أدواراً مؤثرة في تعبير المدونين عن آرائهم بحرية.

وكشفت الباحثة من خلال دراستها الميدانية أن 29% من المبحوثين سبق لهم المشاركة في أنشطة سياسية دعت إليها المدونات، وتنوعت بين الدعوة للتظاهر والمشاركة في حملات سياسية مثل حملة "محمد البرادعي مرشحاً رئاسياً لعام 2011 " و"المبادرة الوطنية لرفض التوريث". كما بينت الدراسة أن 71% من المبحوثين نفوا مشاركتهم السابقة في أنشطة سياسية دعت إليها المدونات. ومن خلال الانخراط في هذه المدونات كشفت الدراسة عن الدور المهم لها في توفير المعلومات للمستخدمين وبشكل خاص فيما يتعلق بالممارسات السياسية المختلفة.

وبشكل عام، يمكن القول إن "الإنترنت" سوف تدعم الديمقراطية على المدى البعيد؛ فاعتماداً على بيانات دراسة ميدانية ممتدة من عام 1997 إلى 2001 خاصة بـ 118 دولة توصل مورو وسوريز Guillén and Surez إلى أهمية "الإنترنت" في دعم الاقتصاد العالمي والديمقراطية عبر العالم، وهي نتائج تتفق وقدرة "الإنترنت" على التغلغل في جميع أرجاء الأرض، وقدرتها على تحفيز المشاركة السياسية والاجتماعية بشكل لم يعهده التاريخ من قبل. وهي مسألة تؤكدها كارولاك Karolak 2011 في دراستها عن مجتمع البحرين حينما ترى أنه على المدى البعيد يمكن لوسائل الاتصال الاجتماعية Social Media أن تؤدي دوراً مؤثراً في تدعيم المجتمع المدني ومن ثم الممارسات الديمقراطية (انظر أيضاً ريهام مجدي 2011).

من هنا لا يمكن دراسة الثورات العربية بعامة والثورة المصرية بخاصة، بمعزل عن دور المعلوماتية المتسارع وغير المسبوق في نقل الأحداث ومواجهة السلطات وفضحها بدرجة، لم يعهدها تاريخ المنطقة من قبل؛ حيث بينت العديد من الدراسات العربية الدور الهائل لمواقع التواصل الاجتماعي وحجرات الدردشة في اندلاع الثورة المصرية (انظر محمود الرشيدي 2012؛ محمد سيد ريان 2011؛ إنجي محيي الدين وآخرون 2011؛ محمد العجاتي 2012؛ فاطمة الزهراء عبدالفتاح 2012؛ ريهام مجدي 2011؛ محمد السيد حلاوة ورجاء العشماي 2011). فمحمود الرشيدي 2012، وهو ينطلق من رؤية أمنية للإنترنت، يبين الدور الهائل الذي أدته في مفاجأة رجال الأمن في اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير، لكنه يؤكد أن دور "الإنترنت" ارتبط لسنوات طويلة بالكفاح ومواجهة السلطات الحاكمة. كما أنه يبين أن استخدام "الإنترنت" – على الرغم من إسهامه في إنجاح الثورة – ينطوي على جوانب سلبية كثيرة، منها استخدام الخارج لها بما يؤجج الفتن الداخلية ويؤثر على استقرار الأوضاع في مصر. ومن منظور تقني يبين محمد سيد ريان 2011 الدور الهائل للتكنولوجيا الحديثة في اندلاع الثورة المصرية من خلال التركيز على التقنيات التي استخدمت في الترويج للثورة، مثل البروفايل والجروبات والصفحات الشخصية والعامة، ويكشف الكتاب عن وجود طبقة محدودة هي التي تقوم بالعمل التكنولوجي على "الإنترنت"، وبشكل خاص "الفيسبوك"؛ بما يساعد – بدرجة كبيرة – على دخول العديد من المستخدمين بعد ذلك، وتأجيج المشاعر الثورية، وهو الأمر الذي أدى إلى اندلاع الثورة في النهاية.

ويلاحظ أن معظم هذه الدراسات يكشف عن أهمية جماعات الدردشة على وجه الخصوص في تناول الموضوعات الحرجة على المستوى السياسي في الواقع المصري، وهو أمر أدى دوراً كبيراً في عمليات الفضح السياسي المتواصلة للدولة والممارسات التي تقوم بها، كما أنه أدى دوراً مهماً في عمليات التنظيم المؤسسي التي تمت فيما بعد عبر الولوج إلى جماعات ومؤسسات وتنظيمات وحركات سياسية في الواقع السياسي الفعلي. وتكشف هذه الدراسات عن أن أهم العقبات التي تواجه جماعات الدردشة عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، مثل "الفيسبوك" و"التويتر" وغيرها – هو المدة التي تحتاجها للانتقال من الواقع الافتراضي عبر "الإنترنت" إلى المجال السياسي العام؛ حيث الحياة اليومية والمواجهات الفعلية (انظر علي عبدالله 2012؛ إسلام حجازي 2009؛ محمد علي

البسيوني 2008؛ دينا شحاتة 2011). ويبين زوهو وزملاؤه Zhuo 2011 الدور المهم الذي أدته "الإنترنت" في ثورات الربيع العربي عموماً، وبشكل خاص في ضوء القمع الذي يتعرض له الأفراد من قبل حكومات هذه الدول. كما يكشف عن مسألة على درجة كبيرة من الأهمية تتعلق بالدور الذي تقوم به "الإنترنت" في تقوية ودعم الأفراد المنعزلين الخائفين؛ فـ"الإنترنت"، من حيث لا يدري المستخدمون، تؤسس لنوع جيد من الممارسة الجمعية والشعور العام بالانتماء لمجتمع افتراضي جديد يسعى إلى المشاركة السياسية والاجتماعية ومواجهة السلطات الغاشمة (انظر أيضاً سيليتان Saletan 2011).

الإطار المفاهيمي:

1 – مواقع التواصل الاجتماعي Social Networkings:

حتى يمكن توضيح الدور المهم الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي Social Networkings في دعم الأنشطة المختلفة للمستخدمين فإنه من الضروري تناول تطور شبكة "الإنترنت" ذاتها من الشبكة الكلاسيكية (1) إلى الشبكة الحديثة (2) الأكثر سهولة في التواصل بين المستخدمين، والتي توفر لهم إمكانيات تحرير editing هائلة. لقد ظهر مفهوم الشبكة (2) لأول مرة من خلال حديث دارسي دينوسيتشي Darcy DiNucci عام 1999 عبر مقالتها المعنونة "المستقبل المجزأ" Fragmented Future، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الشبكة لم تصبح جاهزة للاستخدام الفعلي إلا في عام (Lambert, 2008).

ووفقاً لبولس ويلر Boulos and Wheeler 2007 فإن شبكة "الإنترنت 2" (Web 2.0)" التي يُطلق عليها الشبكة الاجتماعية قد أتاحت للمستخدمين مقارنة بالشبكة (1) (Web 1.0) إمكانية الاستخدام السهل واليسير، كما أنها أتاحت للمستخدمين التعامل معها بشكل ديمقراطي وفر لهم تبادلاً هائلاً وغير مسبوق للمعلومات التي يريدونها ويحررونها بأنفسهم (انظر: ص 2). وتوضح جواناواردينا وآخرون Gunawardena, et al الفروق بين الشبكة (1) والشبكة (2)، معتمدين في ذلك على O'Reilly 2005 من خلال اعتماد الشبكة (1) على بنية هيراركية في بناء المعلومات من أعلى إلى أسفل، لا يستطيع من خلالها الأفراد المشاركة الفعلية والعريضة التي تتيح لهم التدخل والتحرير والحذف والإضافة، بينما تتيح الشبكة (2) متسعاً كبيراً للأفراد لكي يشاركوا في صناعة المعلومات وصياغتها وتحريرها.

ولعل أبرز مثال على ذلك هو ما يطلق عليه نظام الـ Wiki، وهو يشبه النظام نفسه الذي تأسست عليه موسوعة الوكيبيديا الشهيرة Wikipedia على "الإنترنت"؛ حيث يصبح في إمكان الأفراد عبر القطاع الجماهيري الواسع Grassroots الولوج للمواقع وإضافة المعلومات التي يريدون صناعتها أو تحريرها أو تهذيبها أو توسيعها.

كما تتسم الشبكة (2) بحيز ضخم من التوسع في التعليم الذي يعتمد على التبادلية بين الأفراد وطرح التساؤلات وسياق أوسع من البحث الجماهيري غير المسبوق. ولعل ذلك يظهر بشكل واضح من خلال الفروق بين الشبكة (1) والشبكة (2) في قيام الأفراد في الأولى ببناء المواقع الخاصة بهم المغلقة عليهم، بينما يقوم الأفراد في الشبكة الثانية ببناء المدونات Blogs التي هي حلقة جديدة مترامية الأطراف من التعاون البناء والخلاق بين المدون Blogger والقراء الذين يتفاعلون معه، وربما يعيدون تشييد مدونته في سياق عريض من التبادلية غير المسبوقة التي لا تنطوي عليها الشبكة (1). وفي ضوء ذلك تمثل الشبكة (2) حيزاً واسعاً من التلقائية والعفوية التي لا تشتمل عليها الشبكة (1)، ولعل ذلك يظهر أيضاً من خلال الجمود المرتبط بعنصر الزمن بالنسبة إلى الشبكة (1) وتلك المرونة الخاصة بالزمن في الشبكة (2)؛ فبينما تتشكل الشبكة الأولى بناء على أطر زمنية محددة مسبقاً فإن الشبكة الثانية تتحدد من خلال الأفراد الذين يحددون الوقت الذي يدخلون فيه على الشبكة ويستخدمونها من أجل تبادل المعلومات مع الآخرين على مستوى كوني غير مسبوق (Gunawardena et al., 2009: 4-5; Keren 2006).

ولا يوجد تعريف محدد لمواقع التواصل الاجتماعي Social Networkings لكنها يمكن أن تُعرف ضمن السياق العام لتعريف الفضاء الإلكتروني Syberspace الذي يعرفه جوردان Jordan بأنه ذلك الفضاء الذي يشجع على إنتاج المعلومات أكثر من استهلاكها؛ فالمعلومات تتحرك بسرعة وبكميات كبيرة على الفضاء الإلكتروني أكثر من أي فضاء آخر. وهذا المفهوم يرتبط بمفهوم آخر على قدر كبير من الأهمية يتعلق بجمهور المستخدمين، وهو مفهوم "مجتمع الممارسة" Community of Practice الذي يعرفه وينجر وآخرون Wenger et al. 2002 بأنه "جماعة من الناس تشترك في اهتمام ما سواء مجموعة من المشكلات أو موضوع ما، ويقومون بتعميق معارفهم وخبراتهم في مجال معين من خلال التواصل الدائم والمستمر فيما بينهم" (ص 4 نقلاً عن Gunawardena et al., 2009: 6; Tolbert

and MacNeal 2003). من هنا يمكن القول إن مواقع الاتصال الاجتماعي هي مواقع مُنشأة ضمن الفضاء الإلكتروني تستفيد من آليات الاستخدام التي وفرتها الشبكة (2) من ولوج وبث للرسائل والصور المختلفة من أجل مناقشة موضوعات بعينها تحقق مصالح وأهداف محددة للمستخدمين.

2 - "الفيسبوك" Facebook:

في ضوء ما سبق يبرز "الفيسبوك" بوصفه واحداً من أهم المواقع الاجتماعية للتواصل بين البشر في عالمنا المعاصر. ولقد تم إطلاق خدمة "الفيسبوك" عام 2004 من قبل مارك زوكيربيرج كأداة مخصصة لخدمة الطلبة المسجلين في جامعة هارفارد، وسريعاً فقد توسع "الفيسبوك" ليفتح أبوابه للطلبة في الكليات الأخرى، بدءاً من الكليات المرموقة ثم الكليات الأخرى الأقل مكانة. وفي عام 2005 وفر "الفيسبوك" خدمة محدودة لبعض طلبة المدارس الثانوية والعاملين في بعض الشركات، وأخيراً في عام 2006 وفرت الخدمة للعامة (Boyd and Hargittai, 2010, 2009; Valenzuela et al.). ويعني ذلك أن الهدف من إنشاء "الفيسبوك" كان محدداً في البداية في إطار تقديم خدمات تعارف محدودة داخل إحدى الجامعات الأميركية قبل أن يخرج عن النطاق الأميركي المحلي ليصبح أداة التواصل الاجتماعية الأولى بامتياز في جميع أرجاء العالم، وقبل أن تتعدد الوظائف والممارسات المرتبطة به.

ولقد شهدت مواقع التواصل الاجتماعي مثل Friendster و MySpace و Facebook و Twitter و YouTube نمواً تصاعدياً في عدد الأعضاء المنتمين لها في السنوات الأخيرة، كما يلاحظ أن المستخدمين لهذه المواقع الجديدة الذين ارتبطوا بشكل أساسي بظهور "الإنترنت" قد أصبحوا مؤلفين مشاركين في إنتاج هذه المواقع وتأسيسها وضخ المادة المنشورة عبرها. فلم يعد هناك مكان لأساليب الاتصال التقليدية القديمة التي تنتقل فيها الرسالة عبر اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبل دون أن يكون للمستقبل أي دور إلا في استهلاك هذه المادة، وفي أفضل الأحوال إعادة هضمها. أما الآن، وفي ظل "الإنترنت"، فقد أصبح المستخدمون هم المنتجين للأفكار والقضايا الاجتماعية والسياسية المختلفة، بل المتابعين لها من خلال الدخول في عمليات نقاشية مستمرة ومتواصلة.

إن واحداً من بين أهم الجوانب الخاصة باستخدام "الفيسبوك" هو عدم

الاهتمام بهوية الطرف الآخر بقدر الاهتمام بوجهات نظره التي يعرض لها وينقلها للآخرين. ففي معظم الأحيان لا يعرف المستخدمون لـ "الإنترنت" بعضهم بعضاً، لكنهم يحرصون على المشاركة والتلاقي مع الآخرين في ظل حضرة الأفكار المشتركة فيما بينهم. فالأفكار ووجهات النظر أصبحت هي القاسم المشترك فيما بين المستخدمين بغض النظر عن النوع والدين والعمر والانتماء الطبقي.

وتنبع أهمية "الفيسبوك" من حجم عضوية الأفراد الذين يستخدمونه وحجم المعلومات الهائلة الموجودة على صفحاته (Acquisti and Gross, 2006)، وهي عضوية تعبر عن ارتفاع غير مسبوق في استخدام جميع مواقع التواصل الاجتماعي؛ فقد بلغ عدد مستخدمي "الفيسبوك" اليوم 600 مليون مستخدم، محققاً بذلك عائدات بلغت 2 بليون دولار، كما أن موقع "اليوتيوب YouTube" الذي انطلق عام 2005 بلغت نسبة مشاهدات المقاطع المصورة عليه 2 بليون في اليوم الواحد بحلول مايو 2010، وأخيراً فقد افتتح "تويتر Twitter" للعامة في سنة 2006، وبلغ عدد مستخدميه الآن 200 مليون مستخدم (Feely and Gill, 2011:12).

ووفقاً لموقع Internet World Stats فقد بلغ عدد مستخدمي "الإنترنت" في العالم العربي حتى نهاية عام 2011 ما إجماليه 86,077,806 نسمة، وهو ما يمثل نسبة 23,9% من عدد السكان البالغ – وفقاً لتقديرات عام 2011 – ما مقداره 359,340,646 نسمة. وهذا يعني أن ربع السكان – تقريباً – يستخدمون "الإنترنت" في العالم العربي، وهي نسبة مرشحة للزيادة في ضوء التوسعات في البنى التحتية الخاصة بـ"الإنترنت"، وتراجع أسعارها من سنة إلى أخرى. ويلاحظ أن عدد مستخدمي "الفيسبوك" وصل حتى نهاية عام 2011 – وفقاً لبيانات الموقع نفسه – إلى 34,572,080 نسمة من إجمالي مستخدمي "الإنترنت". وبالنسبة إلى الحالة المصرية، فقد بلغ عدد مستخدمي "الإنترنت" حتى نهاية عام 2011 ما مقداره 21,691,776 مستخدماً، بما نسبته 26,4% من إجمالي عدد السكان البالغ 82,079,636 مليون نسمة وفقاً لتقديرات عام 2011. واللافت للنظر أن عدد مستخدمي "الفيسبوك" وصل في نهاية ذلك العام إلى 9,391,580 مليون مستخدم. ويكشف موقع Socialbakers عن ارتفاع ملحوظ في أعداد من يستخدمون "الفيسبوك" في مصر؛ حيث قفز عدد المستخدمين حتى نهاية سبتمبر 2012 إلى 11,764,880 مليون مستخدم اليوم بما نسبته 14,62% من إجمالي عدد السكان، وبنسبة 68,96% من مستخدمي "الإنترنت" في مصر. وهو أمر يضع مصر في المرتبة العشرين عالمياً بين الدول

المستخدمة لـ "الفيسبوك" وفقاً لإحصاءات الموقع. وتكشف هذه الإحصائيات عن التوسع المتزايد في استخدام "الفيسبوك" لما يوفره من إمكانات تواصل هائلة بين المستخدمين في جميع الأنشطة والمجالات وبشكل خاص في المجالات السياسية المختلفة، وهو أمر دفع بالعديد من الدول لمراقبة استخدام مواقع التواصل الاجتماعية والعمل على تقييد مستخدميها، بما في ذلك غلق بعض المواقع ومعاقبة مستخدميها.

الإطار النظري:

يتيح استخدام "الفيسبوك" أطراً نظرية عديدة، تبدأ من توسيع مستوى رأس المال الاجتماعي Social Capital بالنسبة إلى المستخدمين، مروراً بمسألة التشبيك الاجتماعي التي تتم عبر الارتباط بجماعات كثيرة ومتعددة على مواقع التواصل الاجتماعي (Lin, and Lu, 2011; Muijs et al., 2010). ففي دراستهم التطبيقية على عينة من طلبة جامعة تكساس بلغت 2603 مفردة يرى فالينزويلا وآخرون Valenzuela et al أن هناك علاقة قوية بين استخدام "الفيسبوك" بين طلبة الجامعة والرضا عن الحياة بين الطلبة، والثقة الاجتماعية، والمشاركة المدنية والالتزام السياسي، كما لوحظ وجود ارتباط بين استخدام "الفيسبوك" وتطور رأس المال الاجتماعي للطلبة. وتسهم هذه النتائج في تأكيد أهمية "الفيسبوك" بالنسبة إلى الصحافة والإعلام المهتمين بإعادة ربط الأفراد – وبشكل خاص الشباب – بالمجتمع والحياة العامة. ويحاول فالينزويلا وآخرون في هذه الدراسة أن يفحصوا إذا ما كانت مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة تستطيع – من خلال طبيعتها والإمكانات التي تنطوي عليها أن تخلق مسارات جديدة للمشاركة المدنية والسياسية في المجتمع أم لا. وتستند الدراسة إلى مفهوم رأس المال الاجتماعي الخاص بالطلبة، وهو مفهوم ينطوي على أبعاد عديدة تشمل مدى الرضا عن الحياة والثقة الاجتماعية والمشاركة المدنية والالتزام السياسي (حول الأدوار الأخرى للإنترنت (Hick and Halpin, 2001; Olsso, 2008; Wood, 2009).

وعلى الرغم من أهمية مفهوم رأس المال الاجتماعي في تعرف التطور الخاص بالمستخدمين لـ"الفيسبوك" فإن الدراسة الراهنة ترى أنه غير كاف بالنظر لفهم ما يجري على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة من ناحية أننا نبقى محصورين في سياق العالم الافتراضي وغير قادرين على تعرف حقيقة التطور الحادث لجمهور المستخدمين أنفسهم، على الرغم من الإمكانات الهائلة التي تكفلها لنا هذه المواقع

في تعرف طبيعة القضايا التي تتناولها، إضافة إلى الصعوبات المنهجية المرتبطة بدرجة دقة التعامل مع المستخدمين لهذه المواقع، وبشكل خاص في العالم العربي. فإذا كان من الممكن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ذاتها في إجراء مسوح واستقصاءات اجتماعية نظراً لحجم الانتشار الواسع المدى لـ"الإنترنت" في هذه المجتمعات فإن الأمر مازال بعيداً عن إمكانية التحقق في مجتمعاتنا العربية، لعدة أسباب، يأتي في المقدمة منها الانخفاض النسبي في التعامل مع "الإنترنت" وضحالة ثقافة التواصل البحثي للجمهور العربي بشكل عام وجمهور "الإنترنت" بشكل خاص. من هنا، وانسجاماً مع تلك الصعوبات النظرية فإن التعامل المباشر مع مواقع "الإنترنت" العربية يمثل مدخلاً مباشراً من أجل تعرف طبيعة القضايا المختلفة المتداولة على هذه المواقع، إضافة إلى الوقوف على آراء المستخدمين والجدل الدائر فيما بينهم، وبشكل خاص فيما يتعلق بالأنشطة السياسية والاجتماعية الموجهة ضد الحكومات العربية وأنظمتها القمعية.

وفي ضوء ذلك فإن الدراسة الراهنة تستند في تحليلاتها لموقع "كلنا خالد سعيد" إلى مدخل جورجين هابيرماس Jürgen Habermas المتعلق بنموذج الفضاء العام Public Sphere؛ حيث يمكن من خلاله تعرف الجوانب المختلفة الخاصة بتعليقات القراء ومناقشاتهم إضافة إلى ما يبثونه على "الفيسبوك"، وأثر ذلك على تشكيل الفضاء العام الافتراضي، وعلاقة ذلك بالفضاء العام الفعلي في الحياة اليومية (Berdal 2004).

واعتماداً على مفهوم الفضاء العام لهابيرماس تستند الدراسة إلى أربعة جوانب مهمة ترتبط بـ"الإنترنت"، **أولها** الشمولية Inclusivity من ناحية توافر إمكانية الولوج والاستخدام التي تتحدد من خلال المستوى الاقتصادي والتعليم. فمفهوم الولوج يُعد إحدى أبرز السلوكيات الخاصة بالمستخدمين، وهو الفعل الذي تتحدد من خلاله علاقة الفرد بالعالم الافتراضي ومستوى ممارساته اليومية عليه. وعلى الرغم من أن فعل الولوج قد يُنظر إليه على أنه مجرد تصرف سريع يتيح للفرد الدخول إلى عالم "الإنترنت" والممارسات المختلفة المرتبطة به، فإنه يعني – بعد فترة زمنية معينة – درجة أرقى من الممارسة تفترض تشبيكاً اجتماعياً وجماعياً أعلى وأكثر نشاطية عما يرتبط به في البدايات؛ حيث دخول عالم "الإنترنت" والخروج منها. فهذا الفعل الذي يبدأ بسلوك فردي يرتبط – بعد فترة زمنية معينة، وبعد ممارسات متواترة – بطابع

عملياتي يدور حول كثير من سلوكيات الفرد عبر العالم الافتراضي من ناحية، وعبر مستويات ارتباط معقدة بالواقع الفعلي ذاته من ناحية أخرى.

ويتمثل **ثاني** هذه الجوانب في حرية الأفراد في التواصل عبر الفضاء "الإنترنتي" والمساواة فيما بينهم Equality؛ فالحرية تمثل المهاد الطبيعي لتوسع أي فضاء وامتداده سواء أكان فعلياً أم افتراضياً. ومن دون الحرية يصعب التوسع في الممارسات المتعلقة بـ"الإنترنت"، كما يصعب توسيع دائرة التشبيك التي تتميز بها "الإنترنت" والفضاء الإلكتروني. فالحريات المكفولة للمستخدمين في ولوج أية مواقع والتعامل معها تختلف – كما أشرنا سابقاً – من دولة إلى أخرى ومن سياق إلى آخر، كما لا ترتبط بمدى مراقبة السلطات لمواقع "الإنترنت" فقط بل ترتبط أيضاً بقدرة الأفراد على الولوج في أي وقت دون تضييق رسمي أو مؤسسي، والتعبير عما يجول في عقول المستخدمين ويرتبط بمصالحهم. فالمسألة لا ترتبط بتوفير القدرات التقنية لفعل الولوج فقط لكنها ترتبط أيضاً بمقدرة الأفراد أنفسهم على التعبير عن الذات، وتنامي تلك المقدرة مع تنامي فعل الممارسة وتواصله بما يهيئ توجهاً عاماً داعماً للحرية وناقداً للآخر بما في ذلك السلطات الرسمية ذاتها.

و**ثالثها** بناء الأفكار الذي يولج من خلالها إلى "الإنترنت" وعقلانية التواصل Rationality، وهي مسألة ترتبط بجملة ممارسات الأفراد التي تتحدد من خلالها أهداف التواصل ذاته، وقدرة الأفراد على الحوار والنقاش فيما بينهم بشكل عقلاني. وتختلف قدرات المستخدمين على التواصل والحوار فيما بينهم بحسب الفضاء الفعلي الذي ينتمون إليه؛ فالواقع الفعلي يشكل البيئة الرئيسة للنقاش والحوار بين المستخدمين في الواقع الافتراضي عبر "الإنترنت". من هنا، فمن المتوقع أن طبيعة المناقشات والمداخلات والتعليقات والقضايا المثارة بين مستخدمي "الإنترنت" في الدول الغربية سوف تختلف – لا محالة – عن تلك التي تتم بين المستخدمين في غيرها من الدول الأخرى، بما في ذلك العالم العربي. فمما لا شك فيه أن المستوى التعليمي ودرجة التطور المجتمعي والوضع الاقتصادي والممارسات السياسية كلها عوامل تحدد كيفية ولوج "الإنترنت" ودرجة العقلانية التي يتحلى بها المستخدمون.

وأخيراً خصائص الخطاب المنتج الذي يتأسس اعتماداً على الجوانب السابقة بما في ذلك الاستقلال عن الدولة والقوة الاقتصادية الخاصة بها. ويعني ذلك أن كل العوامل السابقة تفضي إلى إنتاج خطاب معين، تتحدد ملامحه في ضوء مدى توافر

هذه الجوانب من عدمها. إن درجة استقلالية الأفراد عن هيمنة الدولة الاقتصادية يحدد ملامح التعامل عبر "الإنترنت" وطبيعة الفضاء الإلكتروني الذي يشيدونه. وتساعد هذه الجوانب في الوقوف على طبيعة الفضاء العام المؤسس عبر "الإنترنت"، ورصد الملامح الخاصة به، وبشكل خاص الخطاب النهائي المتشكل من خلال جملة ممارسات المستخدمين المشاركين في الحوارات والنقاشات المرتبطة بموقع "كلنا خالد سعيد".

الإجراءات المنهجية:

يعتمد الإطار المنهجي للدراسة على تناول واحد من أهم المواقع التي ارتبطت بالثورة المصرية وبـ"الفيسبوك" وهو موقع "كلنا خالد سعيد"، https://www.facebook.com/media/set/?set=a.145352058835448.15260. 100000819634048&type=3#!/ElShaheeed وهو موقع عام يمكن لأي شخص أن يطلع على ما فيه أو يشارك الآخرين ما به. ولقد أنشئ هذا الموقع في يوم الخميس الموافق 10 يونيو 2010، وذلك بعد مقتل خالد سعيد بأربعة أيام فقط. ويأتي تناول هذا الموقع متوافقاً مع هدف الدراسة من ناحية؛ حيث إنه أنشئ قبل الثورة بما يقرب من ستة أشهر كاملة، بغية فضح النظام السياسي، وأساليب القمع المرتبطة به.

ويعني ما سبق أننا سوف نحلل الموقع في الفترة السابقة على الثورة بشكل رئيس، بما يكشف عن دور مثل هذه النوعية من المواقع في التجهيز للثورة والمساعدة في اندلاعها. ويساعد الموقع ذاته وتنظيمه على مثل هذه النوعية من التحليل؛ حيث ينقسم زمنياً إلى سنوات متتابعة منذ يونيو 2010 حتى الآن في تتابع شهري متلاحق، ومن خلال الضغط على كل شهر تُحصّل المادة الموجودة والأحداث المرتبطة بها، بما في ذلك تعليقات القراء على كل منها وردود بعضهم على بعض حولها.

وسوف تعتمد عملية التحليل المنهجية على قراءة جميع صفحات الموقع منذ إنشائه حتى اندلاع الثورة المصرية؛ حيث ترتكز طريقة التحليل على قراءة جميع التفاصيل الدقيقة الخاصة بالأحداث المتعلقة بالموقع. وتشتمل هذه الصفحات على ما يتعلق بأنشطة الوقفات الصامتة المرتبطة بالتعريف بمقتل خالد سعيد، والصور العديدة المرتبطة بها والتعليقات الخاصة بالقراء، والموقف من رجال الأمن والشرطة

والحكومة المصرية. وسوف تحلل هذه الصفحات والصور والأغاني والأفلام والتعليقات بطريقة أقرب إلى تحليل المضمون الذي يعتمد على الوحدات التحليلية الصغيرة مثل الكلمة والجملة والصورة والموسيقى والتعبير والكاريكاتير؛ بما يساعد على تحديد أهم القضايا العامة التي ارتبطت بالموقع والقائمين عليه والمشاركين فيه، وبما يؤسس في النهاية لوضع ملامح عامة للخطاب المتشكل عبر هذا الموقع، ويساعد على الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وبشكل خاص دور هذا الموقع – كمثال لغيره من المواقع العديدة التي ظهرت في مصر – في اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير. وسوف يساعد أسلوب تحليل المضمون الكمي والكيفي على رصد طبيعة المشاركين ونوعية مشاركاتهم والقضايا المثارة وكيفية تصاعدها ارتباطاً بالتعقيدات السياسية المختلفة التي حدثت في مصر خلال هذه الفترة الزمنية. كما يساعد هذا النوع من التحليل على توضيح كيفية الاشتباك مع النظام السياسي، والآليات المختلفة التي طرحها المشاركون على هذا الموقع من أجل مواجهة وسائل النظام المختلفة ومحاولاته المتتابعة لقمع المتظاهرين ووأد محاولاتهم المختلفة الهادفة لفضحه والتشهير به.

الجانب التحليلي لموقع "كلنا خالد سعيد":

سوف نحاول فيما يلي الوقوف على آليات المستخدمين المختلفة على موقع "كلنا خالد سعيد"، ومستويات تطور الوعي وعقلانية الحوار فيما بينهم، وطبيعة القضايا المختلفة التي تتناول بشكل يومي ملح وفاعل، والموقف من السلطات الحاكمة وأجهزتها القمعية المختلفة، ودور كل ذلك في المساعدة على اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير. وسوف يستند الجانب التحليلي إلى الجمع بين الجوانب الكمية والكيفية للمستخدمين والموقع بما يساعد على الإجابة عن تساؤلات الدراسة.

أولاً – آليات الاستخدام والقضايا المطروحة:

نعني بآليات الاستخدام وسائل التعبير عن الذات على موقع "كلنا خالد سعيد"، التي تبدأ بفعل الولوج ثم طرق التعبير التي تشمل الكلمات والصور والأغاني والرسوم الخاصة والكاريكاتيرات وتصوير الفيديوهات بالصوت والصورة، ووضع الروابط الخاصة بمواقع أخرى قد تكون قنوات إخبارية فضائية أو صحفاً محلية أو عربية أو أجنبية أو مدونات لأشخاص آخرين. ويعني ذلك أن آليات

الاستخدام والتعبير عن الذات تشمل جميع السبل والوسائل التي تساعدنا على النقل الفوري أو اللحظي أو المؤجل لمجريات الواقع الفعلي التي نرغب في الإعلان عنها ونشرها لجمهور المستخدمين لموقع خالد سعيد. وإذا كنا نتناول هذا الموقع بشكل محدد هنا، فإن هذه الآليات تنطبق على جميع الاستخدامات الخاصة بـ"الفيسبوك" وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى.

وترتبط كل هذه الآليات التي تتنوع وتتجدد بحسب طبيعة القضايا التي يتناولها الموقع والهدف من إنشائه في التشهير بالسلطات السياسية فيما يتعلق بعملية قتل الشاب خالد سعيد. ووفقاً لما سبق فإن المحفز الرئيس لإنشاء الموقع كان عبر الواقع الفعلي، ووجد امتداداته عبر الواقع الافتراضي؛ حيث "الإنترنت" وأهم وسائطها المعاصرة "الفيسبوك". ويعود إنشاء هذا الموقع في العاشر من يونيو 2010 إلى الصعوبات التي تكتنف الواقع السياسي المصري في ذلك الوقت في مرحلة ما قبل الثورة، ورغبة الشباب – على وجه الخصوص – في فضح النظام من خلال طرق جديدة ومُستحدثة لا تستطيع السلطات من خلال أجهزتها الأمنية العديدة متابعتها والقضاء عليها. ويلاحظ أن كل ممارسة سياسية عبر الموقع كانت تدفع نحو المزيد من الممارسات الأخرى؛ فالوقفة الصامتة الأولى أدت للثانية التي أدت بدورها إلى الثالثة، وهكذا. كما أن عمليات الفضح المستمرة لانتهاكات النظام السياسي كانت تدفع إلى المزيد من التشهير والإعلان المتواصل عن سلوكيات رجال الأمن ضد المصريين بشكل عام والنشطاء منهم بشكل خاص.

ووفقاً لجدول (1) فإن أكثر آليات الاستخدام لـ "الفيسبوك" على موقع كلنا خالد سعيد في الفترة من 13 يونيو 2010 حتى 23 يناير 2011 تمت من خلال صفحات الصور التي تحيل لعشرات – وفي بعض الأحيان مئات – من الصور المتنوعة الأخرى التي توصف الأحداث من خلالها سواء من خلال الصورة المباشرة أو من خلال الكلمة أو الرسم أو التعليق وخلافه، وتلا ذلك استخدام الفيديو كليبات، ثم الكلمات والجمل، وأخيراً الدعوات للوقفات الصامتة التي تفضح عملية مقتل خالد سعيد وتواجه النظام المصري، وهي ترتبط أيضاً بالصور المركبة.

جدول (1)
آليات استخدام موقع "كلنا خالد سعيد" في الفترة من 2010/6/13 حتى 23/1/ 2011

المتغير	التكرار	النسبة
الدعوة لوقفات صامتة وإضافة الصور المرتبطة بها	8	%7
صفحات الصور المركبة التي تحيل لصور عديدة أخرى	53	%48
الفيديو كليبات	23	%21
الكلمات والجمل والشعارات المكتوبة	26	%24
المجموع	110	%100

ومن خلال هذه الآليات، يتناول المستخدمون مجموعة من القضايا المختلفة التي تتركز بشكل كبير على الفضاء السياسي والموقف من الدولة وفضح أساليبها القمعية. وفي ضوء ذلك يبين جدول (2) القضايا المختلفة التي تناولها المستخدمون، وركزوا عليها في الفترة موضوع الدراسة.

ويلاحظ في جدول (2) غلبة القضايا السياسية التي ارتبطت بممارسات المستخدمين، وما يتعلق بحض المستخدمين على المشاركة في الوقفات الصامتة وجميع أشكال التظاهر الأخرى، إضافة إلى فضح الممارسات القمعية المرتبطة بضباط الشرطة ووزارة الداخلية. وإذا كان البعض يرى أن المشاركة السياسية التقليدية المتعارف عليها في الواقع الفعلي يمكن أن تدعم وتوجه المشاركة السياسية عبر "الإنترنت" (Best and Kruger 2005: 185-186)، فإن تقييد المشاركات السياسية المختلفة والتضييق على الأفراد يمكن أن يساعد على انتقالهم لساحة "الإنترنت" والبحث عن مشاركات افتراضية عوضاً عن الواقع الفعلي المقيد لهم ولحرياتهم في التعبير عن آرائهم. وذلك هو ما حدث في مصر؛ فضعف المشاركة السياسية الفعلية عبر أحزاب حقيقية ومجالس تشريعية منتخبة بنزاهة قد أجبر الأفراد على اللجوء إلى "الإنترنت" والتعبير عن آرائهم وتوجهاتهم السياسية والأيديولوجية المختلفة؛ بحيث تحولت ساحة "الإنترنت" إلى ساحة مواجهات جديدة بديلاً من تقزم الواقع السياسي الفعلي، وضعف القوى السياسية المختلفة (Khamis and Vaughn 2011).

جدول (2)
القضايا المطروحة من قبل المستخدمين خلال فترة الدراسة

المتغير	التكرار	النسبة
الحض على المشاركة السياسية والدعوة للتظاهر	30	%25
فضح التعذيب وانتهاكات رجال الشرطة	24	%20
تأكيد حقوق الإنسان والحفاظ على كرامة المواطن المصري	16	%13
الاستهزاء بقرارات الحكومة الاقتصادية	6	%5
نقد الإعلام المصري	8	%7
فضح ممارسات وزارة الداخلية	15	%13
تقديم بعض النماذج الإيجابية للمصريين	7	%6
رفض قانون الطوارئ	2	%1
محاربة الفساد	6	%5
فضح تزوير الانتخابات	6	%5
المجموع	120	%100

وتعدد هذه الوظائف يربط بين الوظيفة السياسية وغيرها من الوظائف التي تشمل الترفيه وتعرف ما هو جديد، وهي مسائل تضيف نوعاً من الإمتاع تفتقده مؤسسات الواقع الفعلي السياسية. ولقد أدت هذه الخواص إلى التوسع السريع في استخدام موقع "كلنا خالد سعيد" ومحاولات المصريين القيام بدور سياسي تعريفي بما حدث من عمليات قتل وتعذيب، بدأت بمقتل الشاب خالد وامتدت لممارسات النظام القمعية المختلفة. وهو أمر ساعد على التوحد بين قضايا الواقع السياسية المختلفة وما شيده الأفراد على الواقع الافتراضي عبر هذا الموقع وغيره من المواقع الأخرى، فكما ذكرنا سابقاً فإن هذه المواقع الافتراضية تشكل – بدرجة أو بأخرى – امتداداً لما نعيشه في واقعنا الفعلي.

وإذا كان من الضروري تأكيد أن "الفيسبوك" قد أتاح لمستخدميه جميع الوسائل التي يشاركون من خلالها في التعبير عن أنفسهم ومصالحهم وأهدافهم

مثل الكلمة والصورة والفيديو والتعليق المباشر العادي والساخر... إلخ، فإن ذلك يرتبط بمسألة التشبيك الاجتماعي المتسارع في العلاقات وتعرف الأصدقاء بسهولة من خلال الارتباط بالآخرين؛ فبمجرد ولوج الفرد إلى "الفيسبوك" تتسع عملية التشبيك بالآخرين وتتوسع لتشمل أعداداً غفيرة ومتنوعة بشكل بالغ السهولة، وبشكل يفوق ما قد يحدث في الواقع الفعلي بمستويات غير مسبوقة. إضافة إلى ذلك فإن هذه المواقع الجديدة تسمح لأي شخص لديه إمكانية الولوج إلى "الإنترنت" بالتعبير عن نفسه وإيصال صوته لأي فضاء عام يريد ويستهدف. من هنا فإن مواقع التواصل الجديدة لن تصبح تحت سطوة قوة اجتماعية بعينها وتأثيرها وهيمنتها بقدر ما سوف تصبح ساحة لجميع الأصوات والمصالح والتوجهات. كما يرتبط بذلك أيضاً المساواة بين المستخدمين والاستقلال بعيداً عن الدولة والقوة الاقتصادية المرتبطة بها.

وترتبط مسألة المساواة بين المستخدمين بمسألة جوهرية تتسم بها جميع مواقع التواصل الاجتماعي وهي غياب هيمنة الصوت الواحد في ضوء ما تفرضه هذه المواقع من تعدد هائل للأصوات بغض النظر عن وضعيتها التعليمية وقدراتها الاقتصادية. فـ"الإنترنت" ترفض المركزية التي اتسمت بها حقبة هيمنة الدولة على وسائل الإعلام المختلفة؛ من حيث إنها تساعد على تعدد أصوات المساهمين وغياب هيمنة الصوت الواحد والرسالة الأيديولوجية الواحدة، كما أنها تتسم بسهولة التعامل معها وفقاً لما يريده المستخدم، والشخص/الأشخاص الذين يريد أن يتواصل معهم، وفي ضوء الأهداف التي يحددها، وهو أمر يمنح هذه الوسيلة كفاءة غير مسبوقة مقارنة بوسائل الاتصال السابقة عليها، خصوصاً في ضوء الأعداد الهائلة التي يمكن أن نتواصل معها (Karolak, 2011; Khamis and Vaughn, 2011; Feely and Gill, 2011).

ويلاحظ في موقع خالد سعيد التعددية الهائلة للأصوات التي تشمل الذكور والإناث، والصغار والكبار، والطلبة والموظفين، والمتزوجين وغير المتزوجين، والمسلمين والمسيحيين، إضافة إلى أعداد كبيرة من الجنسيات العربية الأخرى وبعض الأجانب. ومما ساعد على هذا التنوع في مستخدمي الموقع طبيعة الحدث الذي ارتبط بمقتل الشاب خالد وطريقة قتله التي تمت ببشاعة على أيدي قوات الأمن المصرية. ففي مسائل القتل والتعذيب – على وجه الخصوص – تتوحد المشارب – بدرجة كبيرة – نحو المشاعر الإنسانية الرافضة لقتل البشر وتعذيبهم، والرغبة في

عقاب المتسببين في ذلك، وهو ما جعل عدد المعجبين بالصفحة، والذين تصلهم رسائلها ويتابعونها ما يقرب من مليونين ونصف المليون مستخدم. وعلى الرغم من ذلك يمكن القول إن أغلب مرتادي مواقع التواصل الاجتماعي من الشباب في الفئات العمرية بين 18 إلى 25 سنة وفقاً للعديد من الدراسات، ووفقاً لما لاحظناه من صور المشاركين على موقع "كلنا خالد سعيد" (Boyd and Hargittai, 2010).

وعلى الرغم من أن معظم مستخدمي موقع خالد سعيد أشخاص عاديون غير معروفين، فإن الموقع كشف – عبر الوقفات الصامتة التي تمت – مساهمة شخصيات كبيرة ضمن هذه الوقفات احتجاجاً على مقتل الشاب خالد؛ الأمر الذي يمنحها قدراً كبيراً من الشرعية والاهتمام من قبل المستخدمين الآخرين. ومن بين هذه الشخصيات التي أشار إليها الموقع وأبرز صور مشاركاتها المختلفة محمد البرادعي، أيمن نور، جورج إسحاق، ومحمد غنيم، وهي شخصيات تمنح مواقع التواصل الاجتماعي زخماً وثقلاً كبيرين.

ثانياً – آليات التواصل بين المستخدمين وفضح السلطات السياسية:

يتواصل مستخدمو الموقع عبر وسيلتين مهمتين، أولاهما الإعلان المباشر عن الأماكن التي سوف يتم التظاهر أو الوقفات الصامتة فيها، والأخرى عمل "لايك" like، وهي وسيلة تُستخدم في "الفيسبوك"، وتحدد عدد الأشخاص الذين تعجبهم الفكرة ويودون المشاركة فيها، على الرغم من أنه لا توجد ضمانات كاملة على أن من تعجبه الفكرة سوف ينتقل من "الإنترنت" إلى المشاركة الفعلية في الواقع الحقيقي. وعموما فإن "الفيسبوك" أسهم – عبر موقع خالد سعيد – في أمرين على قدر كبير من الأهمية، أولهما يتعلق بتحفيز المستخدمين على الاشتراك في الوقفات الصامتة، وثانيهما الإعلان المتواصل عما جرى في هذه الوقفات بما يساعد على اكتساب مشاركين جدد، خصوصاً في ظل الفضح المتواصل لممارسات الأجهزة الأمنية القمعية.

ويمكن القول إن "الفيسبوك" قد صبغ السياسة بالنشاط الاجتماعي؛ بمعنى أنه بدلاً من تلك الممارسات السياسية الجافة التي قد تتم عبر الحزب أو الصحف أو المظاهرات الفعلية فإن "الفيسبوك" جعل السياسة طقساً اجتماعياً يتم عبر لقاء المتماثلين أو المختلفين معاً على صفحات "الإنترنت" كجزء من الحياة اليومية العادية. لقد أصبحت الممارسة السياسية ومواجهة السلطات الحاكمة أقرب ما تكون

إلى ممارسات الحياة اليومية العادية، ومن ثم انتقلت السياسة من كونها مشروطة بجملة محددات مسبقة إلى حقل الممارسات الاجتماعية التي لا تستدعي كل هذه المتطلبات. ويبقى القاسم المشترك عبر كل هذه الممارسات ماثلاً في الأذهان من خلال مهاجمة السلطات المستبدة وفضحها. ولعل هذه النوعية من الممارسات السياسية/الاجتماعية هي التي جذبت أعداداً متزايدة من المصريين، وبشكل خاص من الشريحة العمرية الشبابية، للتعبير عن آرائهم على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، وهو أمر اتضح حجم تأثيره فيما بعد عبر أيام الثورة المصرية الثمانية عشر.

ومن أهم آليات مواقع التواصل الاجتماعي – وبشكل خاص فيما يتعلق بالنشاط السياسي – أنها تعتمد على فضح السلطات والتنديد المتواصل بممارساتها القمعية. ويمكن القول في هذا السياق إن آليات الفضح التي استخدمها القائمون على موقع "كلنا خالد سعيد" جاءت مفاجئة بشكل بالغ لأجهزة الأمن المصرية التي اعتادت المواجهات القمعية المباشرة التي تعتمد القبض على النشطاء، وتفريق المظاهرات من خلال الوسائل العنيفة التي تشمل الضرب والتعذيب. فما دعا إليه القائمون على الموقع اعتمد آليات جديدة ومبتكرة، مثل الدعوة إلى الوقفات الصامتة ورداء لون أسود يعبر عن الحداد على مقتل خالد سعيد وعدم مواجهة أية استفزازات من قبل رجال الأمن. ففي وقفة يوم 18 يونيو 2010 يعلن الموقع عن التالي:

> "شباب الفيس بوك قرروا أنهم يعملوا وقفة صامتة في كورنيش النيل والبحر يوم الجمعة.. ومش بس كده كمان قرروا يصوروا نفسهم وهما لابسين اسود وزعلانين ومهمومين من اللي حصل للشهيد خالد... يللا صور نفسك بالموبايل وابعت الصورة على ايميل elshaheeed@gmail.com أو حطها في الفان بيج واحنا نضيفها في الألبوم ده"

لقد كان هذا النوع من الوقفات الصامتة التي تعتمد مجرد وقوف المشاركين بعيداً بعضهم عن بعض عدة أمتار وبشكل صامت، ودون كلام – نوعاً جديداً من التظاهرات والنشاط السياسي بالنسبة إلى رجال الأمن في مصر الذين أطلقوا بلطجية النظام من المأجورين من أجل فض هذا النوع من الوقفات، وملاحقة

الصامتين. ولم تنفصل الدعوة لهذه الوقفات عن استخدام الصورة بوصفها الأكثر تأثيراً على "الإنترنت"، وبشكل خاص صورة خالد سعيد بعد مقتله ووجهه المشوه من جراء التعذيب والضرب. ويمكن القول في هذا السياق إن هذه الصورة قد حركت على وجه الخصوص مشاعر العديد من المشاركين والرواد الجدد لموقع خالد سعيد. ويرتبط بذلك فضح أية ممارسات قمعية أخرى يقوم بها رجال الأمن ضد المصريين، مثال ذلك وضع "فيديو" يصور أحد ضباط الشرطة في جامعة الأزهر وهو يضرب إحدى الطالبات بشكل عنيف، وصراخ الطالبات ودعواتهن عليه، وذلك يوم 14 أكتوبر 2010. ولعل عنف ممارسة الضابط تجاه الطالبة هو ما جعل الفيلم يأتي تحت عنوان "كلب من كلاب الأمن يعتدي على طالبة في جامعة الأزهر". ولا يقف الأمر فقط عند "الفيديوهات" المصورة فعلياً لرجال الشرطة أو أية ممارسات تتعلق بسوء تعامل النظام السياسي مع باقي أفراد الشعب، لكنه يرتبط أيضاً بإخراج أفلام معينة تُذكر المستخدمين بما حدث. ويأتي في صدارة هذه النوعية من أفلام "الفيديوهات" فيلم من عمل مجموعة من المستخدمين، يقترب من حدود الاحتراف، بعنوان "ليه"، غناء سلمى صباحي، مهدى إلى روح خالد سعيد، يعرض عملية قتله ويطرح سؤالاً جوهرياً مخيفاً ومحفزاً للمستخدمين في الوقت نفسه "الدور يا ترى على مين؟!!".

وبشكل عام تشتمل الفيديوهات على الموقع بالتنوع لكن يمكن حصرها فيما يلي: 7 فيديوهات تصور اعتداءات مختلفة لرجال الشرطة على المواطنين، 3 فيديوهات تعرض لحالات تزوير تتعلق بالانتخابات، بالإضافة إلى العديد من الفيديوهات الأخرى التي تصور التجمع والهتاف عند بيت خالد سعيد، وتعرض لحملة "منورة يا حكومة" الذي يصور أعمدة الإضاءة المنارة بالنهار، وليلة 27 من رمضان، وحبيب بك العادلي، وبعض الأغاني الوطنية.

ولا يعني ما سبق أن الموقع كان يهدف إلى إسقاط النظام أو تغييره أو استبدال آخر به، فلم تبرز أية دعوات تطالب بذلك بشكل مباشر، لكن المطلوب كان تغيير أسس النظام وقواعده التي يتعامل بها مع المصريين؛ فالمطلوب بشكل عام تمثل في رغبة هائلة لدى مستخدمي الموقع في التعبير عن غضبهم لما حدث لخالد سعيد، والرغبة في محاسبة المسؤولين عن ذلك، وضمان عدم تكراره. وربما تبدو هذه المطالب بسيطة ومتواضعة لدى مطالعتها لأول وهلة، لكنها عميقة وخطيرة من ناحية تصورات النظام السياسي ورفضه لها، ومن ناحية الرغبة الضمنية والعلنية

المرتبطة بها من قبل مستخدمي الموقع من أجل ضمان تغيير قواعد اللعبة السياسية في مصر، وتأكيد كرامة المواطن من ناحية أخرى.

وتمثلت أساليب الفضح أيضاً في علانية الممارسة وما يرتبط بها من اختيار أماكن للوقفات الصامتة تلفت نظر المارة وتثير لديهم الرغبة في تعرف ما يحدث، والأسباب الداعية لهذه الوقفات. ولقد حددت أماكن الوقفات في القاهرة في ميدان التحرير، وأمام فندق الفورسيزون، وكوبري السادس من أكتوبر، وكوبري قصر النيل، ومنطقة القصر العيني، وأمام المعادي مدخل (1)، وهي أماكن حيوية لفتت انتباه المارة، على الرغم من عدم مشاركتهم في الحدث، كما أنها حفزت العديد من الآخرين، والشباب منهم على وجه الخصوص، على الولوج إلى موقع خالد سعيد من أجل تعرف ميعاد الوقفات القادمة. إضافة إلى القاهرة فقد مثلت الإسكندرية – وهي موطن خالد سعيد – مكاناً مهماً وحيوياً للوقفات الصامتة، وبشكل خاص منطقة "الكورنيش". إن أهمية هذه الوقفات الصامتة أنها لم تعتمد الكم مقياساً لنجاحها بقدر ما اعتمدت الكيف الذي يهدف إلى الفضح والتشهير بالسلطات الحاكمة وقتلها لخالد سعيد، بغض النظر عن أعداد المشاركين في تلك الوقفات. لقد كان الهدف متمثلاً في أن يرانا الآخرون ويتساءلون: من هؤلاء؟ ولماذا يرتدون اللون الأسود؟ ومن هو خالد سعيد؟ ولماذا قتل؟ وكيف؟ وما مبررات قتله وتعذيبه بمثل هذا الشكل الوحشي؟ وإذا كان أحد المواطنين العاديين قد قُتل بمثل هذا الشكل، ألا يعني ذلك أن الدور سوف يأتي علي أنا الآخر أو على ابني أو أخي أو صديقي؟ ألا يستدعي ذلك عملاً ما من أجل وقف مثل هذه الممارسات الوحشية الآن وفي المستقبل؟

ولذلك، ووفقاً لهذه الممارسات الكيفية المرتبطة بالوقفات الصامتة، فقد نجح المستخدمون لموقع خالد سعيد في توسيع دائرة المشاركة المكانية من خلال الوقفات الصامتة التي حدثت في مختلف أنحاء مصر: شرم الشيخ، الإسماعيلية، المنصورة، طنطا، أسيوط، رأس البر، دمياط، الفيوم، أسوان، السويس، بورسعيد. بل إن هذه الوقفات الصامتة نجحت في التواصل الإقليمي والكوني، وإن بشكل رمزي من خلال الوقفات التي تمت في بعض الدول العربية، وغيرها من الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة، وكندا.

وتزداد عملية الفضح تأثيراً من خلال ظاهرة التلاقي والتعاون المشترك بين مواقع التواصل الاجتماعي المعارضة للسلطة والترويج للأحداث الواردة على أحدها

من خلال المواقع الأخرى، وهي الظاهرة التي أطلقنا عليها "رجع الصدى "الإنترنتي". فما ينشر على موقع من هذه المواقع ينوه إليه على المواقع الأخرى؛ بما يساعد على تعميق عمليات التشبيك الاجتماعي بين الأفراد وتوسيع تنوع المستخدمين كماً وكيفاً. وهي مسألة نجدها متحققة في التلاقي المتواصل والدائم بين موقع "كلنا خالد سعيد" وموقع "كفاية" وموقع "حركة شباب 6 أبريل". ولا يقف الأمر عند التلاقي بين مواقع التواصل الاجتماعي لكنه يتعدى ذلك إلى الوقوف عند المواقع الإخبارية الأخرى التي تورد أخبار مواقع التواصل والأدوار التي تقوم بها، أو تلك التي تنشر أخبار التحولات السياسية المهمة في مصر وتأثيراتها على المواطن المصري مثل موقعي قناتي العربية والجزيرة، إضافة إلى الصحف المصرية المعارضة، مثل البديل والمصري اليوم والدستور والشروق، وغيرها من الصحف المهمة والجادة.

ولا تقف عملية رجع الصدى فقط عند التبادلية مع المواقع الأخرى، لكنها ترتبط أيضاً بمؤسسات حقوقية أخرى تحفظ للمشاركين في الوقفات الصامتة حقوقهم، وتضمن لهم من يدافع عنهم وتتبع ما يحدث لهم إذا ما تم إلقاء القبض عليهم. ففي الوقفة الصامتة يوم 30 يونيو 2010 يشير موقع خالد سعيد إلى مجموعة من الإرشادات الأمنية التي تشمل كيفية تعامل المشاركين مع ضباط الشرطة، ولمن يجب إبراز الهوية، والأهم من كل ذلك الاتصال بأرقام "تليفونات" معينة حال القبض عليهم من أجل الدفاع عنهم ومتابعة أوضاعهم الحقوقية، ولقد تم ذلك بالتعاون مع مركز النديم للمساعدة القانونية. ولعل ذلك يكشف عن الربط القوي والمتواصل بين ما يحدث في واقع الممارسات السياسية الفعلية والممارسة الافتراضية على "الفيسبوك".

ثالثاً – تشكل الوعي وتبلور العقلانية ودورهما في الثورة المصرية:

أهم ما يميز ولوج "الإنترنت" وتوسع دائرة التشبيك الاجتماعي بين المستخدمين، هو تدرج تشكل الوعي من مرحلة إلى أخرى ومن قضية إلى غيرها؛ فلم يلج المستخدمون موقع خالد سعيد وهم مكتملو الوعي بخصوص عملية قتله، بل يمكن القول إنهم بدؤوا استخدام الموقع وهم مشوشون حول ظروف مقتله إلى الحد الذي كانت تجري فيه نقاشات حول ما أشاعته السلطات عن إدمان خالد سعيد وموضوع لفافة البانجو. وعلى الرغم من قلة مساهمات المستخدمين المتفقة مع

اتهامات السلطة الموجهة للشاب خالد، فإن اللافت للنظر درجة الوعي الخاصة بأغلب المستخدمين في ضوء تأكيدهم أنه حتى لو كانت اتهامات الأجهزة الأمنية صحيحة فإن العقاب يجب ألا يتم على النحو الذي جرى من خلال الضرب الذي أفضى للموت؛ فوفقاً لمعظم مداخلات المستخدمين والتعليقات الخاصة بهم فإن هناك قانوناً يجب محاسبة أي فرد استناداً إليه دون تعذيبه وقتله حتى لو كان تاجر مخدرات.

إن حالة التفكك من خلال فعل الولوج الفردي ومحاولة فهم ما يحدث دون أية انتماءات سياسية أو أيديولوجية مسبقة عملية لها جوانبها الإيجابية والسلبية. فهذه الحالة الجديدة من النشاط السياسي الافتراضي ذي الصلة القوية بالواقع الفعلي توفر قدراً كبيراً من نفي الهيمنة السياسية والأسرية المعتادة في الحياة الفعلية في مصر؛ ففعل الولوج لـ "الفيسبوك" فعل فردي يتم بعيداً عن أي رقابة أسرية أو حزبية أو حتى أمنية مسبقة، بما يوفر قدراً كبيراً وغير مسبوق من الحريات الفردية في تصوراتها الأولى البدائية التي تتطور من خلال عملية التشبيك الاجتماعي وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، بما في ذلك موقع "كلنا خالد سعيد". ونعني بالحريات البدائية تلك الرغبة التي يتصورها الأفراد كل على حدة دون أية أطر تنظيمية لها تسعى لتحقيقها في الواقع الفعلي. ومن خلال جملة النقاشات التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي تتبلور مستويات الحرية ويزداد فهم الأفراد لها بما يؤسس لتصور جمعي جديد، قد يتطور تنظيمياً فيما بعد، وقد يتفكك مرة أخرى ويعود لمستوياته الفردية، وهذا ما يُعد إحدى سلبيات هذا النوع من الوعي الافتراضي المرتبط بـ"الإنترنت".

إن الخروج من شرنقة تصور الحريات الذاتية الأولى إلى تصور الحريات المرتبط بالتشبيك الاجتماعي عبر ساحات الواقع الافتراضي يظهر واضحاً من خلال موقع "كلنا خالد سعيد" عبر التخلص من حالة الخوف التي عبر عنها الكثير من المستخدمين في بدايات فعل الولوج. يقول أحد المستخدمين معبراً عن حالة القلق والخوف المرتبطة بفعل المشاركة في الوقفات الصامتة: "يارب ما نروحشي في الرجلين إحنا كمان، أنا عن نفسي أول مرة هطلع في مظاهرة بس أنا مش خايف، ....". ويقول آخر: " مش هخاف، ولا هخاف، يعني هيحصل إيه أكتر من إللي حصل". إضافة إلى ذلك يقول أحد المستخدمين بما يكشف عن إحساس بالسلبية يجب تجاوزه في الكشف عن ممارسات النظام وفضحه: "هنلبس إسود

لحد ما حقنا ناخده، اضربونا بالعصاية، اضربونا بالخشب، إضربوني لأني سلبي". وهذه السلبية والشعور بها تخلق مناخاً جديداً عبر المجتمع الافتراضي من التوحد والاتفاق، ففي الدعوة لوقفة يوم 23 يوليو 2010 يقول منظم الموقع: "يعني إيه نكون إيد واحدة، يعني نقف جمب بعض، نمشي في مسيرة عملاقة، نهتف بصوت واحد للحرية وخالد". ويكشف جدول (3) الكيفية التي ساعد بها الموقع على رفع مستوى الوعي لدى المستخدمين على النحو التالي:

جدول (3)
آليات رفع الوعي لدى المستخدمين

المتغير	التكرار	النسبة
التذكير الدائم بما حدث لخالد سعيد	132	%31
تأكيد استمرار مواصلة الانتهاكات الأمنية	98	%23
الدعوة للتغيير والحفاظ على الكرامة	78	%18
ما يحدث لا يليق بوضعية مصر وأهميتها في المنطقة	33	%8
أهمية التحول من الموقف السلبي إلى الموقف الإيجابي المشارك	87	%20
المجموع	428	%100

وتوفر مواقع التواصل الاجتماعي سياقاً أوسع من الدعم الجمعي الذي يهيئ نوعاً من الشجاعة بين المستخدمين تترجم فيما بعد إلى ممارسات فعلية في الواقع المعيش. فالتعليقات المتبادلة عبر التشبيك الاجتماعي تهيئ نوعاً من مواجهة الخوف وتشجيع الأفراد بعضهم بعضاً على المشاركة والمساهمة في الوقفات الصامتة، ومواجهة ظلم النظام السياسي وفساده. ويرتبط بذلك الدعوة لتجاوز فكرة المشاركة السياسية الضيقة إلى تصور أشمل للمشاركة الإنسانية، ففيما يتعلق بخالد سعيد وما حدث له، يقول أحد المستخدمين محفزاً الآخرين على المشاركة "حتى لو ملكشي اهتمام بالسياسة، دي مش قضية سياسية، دي قضية إنسانية"، ويقول آخر موضحاً معنى المشاركة وطبيعة المحركين لقضية خالد سعيد "شعب عادي جداً هوه إللي حرك القضية أمام الرأي العام". إن تبلور الوعي وتناميه يظهر بشكل واضح من خلال ردود أفعال من شاركوا في الوقفات الصامتة وضعف النظام

السياسي واهتزازه أمام تلك الممارسات السياسية الجديدة "الخروج في صمت أقلق النظام وعواجيزه".

ويلفت النظر إلى أن الكثير من المشاركات اعتمدت التوجه الديني إسلامياً ومسيحياً للتنديد بالظلم، والإشادة بخالد سعيد والدعاء المستمر له، بل إن البعض أكد تمنيه الشهادة مثل خالد. ويظهر التوجه الديني أيضاً من خلال دعوة غير القادرين على الاشتراك في الوقفات الصامتة لمن اشتركوا بالتوفيق، على شاكلة: "هكون معاكم بالدعاء، هكون معاكم بقلبي". وفي هذا السياق يجب الإشارة إلى أن بعض الوقفات الصامتة مثلما حدث يوم 20 يونيو 2010 تمت من خلال حمل المصاحف والأناجيل والصمت من خلال القراءة على روح خالد سعيد والدعاء له.

وتظهر الرغبة في التحرر من الخوف مرتبطة أيضاً بالتأثيرات التي تمارسها الأسرة المصرية على أعضائها من خلال التوجيه السلبي لهم، القائم على الاستكانة والخضوع، ومنعهم من الاشتراك في الممارسات والأنشطة السياسية المختلفة. فالكثير من الشباب ذكروا صراحة أنهم سوف يشاركون في الوقفات دون معرفة أسرهم لذلك، "ممكن أروح من غير أهلي ميعرفوا". والواقع فإن "الإنترنت" ومواقع التواصل الاجتماعي تؤدي دوراً كبيراً وإن كان غير محسوس ضمن عوامل أخرى عديدة في تفكيك بنية الأسرة الباترياركية القائمة على الاستبداد الأبوي بأشكاله الداعمة، على الرغم من وطنيتها، لاستمرارية الهيمنة السياسية للنظم المستبدة في مصر. ولعل ذلك هو ما وسم الثورة المصرية فيما بعد بالطابع الشبابي؛ فهؤلاء الشباب مروا بمراحل عديدة من الانفلات من القيود الأسرية التقليدية عبر الصراع بين الحريات الواسعة التي توفرها المجتمعات الافتراضية من خلال "الإنترنت" وبين الهيمنة المتسيدة عبر الواقع الفعلي سياسياً واجتماعياً ومؤسسياً وأسرياً. ولقد خلق التحلل من قبضة الهيمنة الأسرية مناخات جديدة من التفاهم والمشاركة لصالح البنية الأسرية ككل، ففي العديد من الوقفات الصامتة كان الصبية الصغار يقومون بنشر صور مشاركاتهم مع باقي أفراد الأسرة بمن فيهم الوالدان، وهو اتجاه جديد على الأسرة المصرية يتطور ويتقدم من خلال الممارسات عبر مواقع التواصل المختلفة، خصوصاً فيما يتعلق بالأحداث الدامية التي نتجاوز فيها أنانيتنا الأسرية، مثل قضايا التعذيب والقتل.

ويظهر ضعف هيمنة الأسرة المصرية – مقارنة بمرحلة ما قبل ظهور

"الإنترنت" والوسائط المرتبطة بها – في مسألة على قدر كبير من الأهمية تتعلق بتغير النظرة للجنس الآخر. فقد ساعدت مواقع التواصل الاجتماعي – وبشكل خاص في إطار التعامل مع القضايا الإنسانية المجتمعية الكبرى، مثل مقتل الشاب خالد – على القبول بالجنس الآخر والتعامل معه ضمن أطر المشاركة السياسية وحرية التعبير. فهناك الكثير من المناقشات التي تمت حول ضرورة عدم الدخول في الحوارات التي تنتقص من وضعية المرأة ومكانتها، وبشكل خاص من الفتيات صغيرات السن. ففي مجال الدعوة لإرسال صور وقفات الأشخاص على موقع خالد سعيد كان البعض يعترض على صورة فتاة معينة، أو على طريقة ملبسها أو هيئتها، وهو أمر كان يحسمه الكثير من المستخدمين حينما كانوا يؤكدون ضرورة عدم الالتفات إلى تلك التفاهات والتركيز على مناقشة القضايا المهمة، بما في ذلك تدعيم الوقفات الصامتة، وفضح الممارسات الأمنية القمعية.

ويتطور مستوى الوعي أيضاً من خلال إنشاء روابط ومواقع أخرى، تنطلق من الموقع الأصلي "كلنا خالد سعيد"، وترتبط به في الوقت نفسه. فقد أنشئ الرابط الأول تحت عنوان "وقفة صامتة للدعاء للشهيد خالد سعيد على كورنيش النيل"، كما أنشئ موقع آخر تحت عنوان "جماعة خافي منا يا حكومة" الذي ظهر يوم 12 يوليو 2010، وهدف إلى تخويف الحكومة من خلال فضح جميع ممارسات رجال الشرطة القمعية ضد المواطن المصري. ويكشف هذا الموقع عن تطور الوعي لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي من خلال ديباجة تقديمه والإعلان عنه: "ثورة 80 مليون مصري ضد رجال فاسدين من الحكومة، نحن نطارد عناصر الفساد والظلم من الحكومة المصرية، الشعب المصري تخطي الـ 80 مليون مواطن".

ولا يعني تبلور الوعي انفصاله عن ممارسات الواقع الفعلية المسبقة؛ فقد ذكرنا أن فعل الولوج بدأ عبر الممارسات الفردية لكنه اكتسب زخماً كبيراً من خلال الحشود الافتراضية والارتباط بها، وهو ما منح هذه الحشود تبلوراً جديداً لا ينفصل أيضاً عن تأثيرات الواقع الفعلية المعيشة. ومن أبرز تلك التأثيرات الدين ودوره في خلق نقاشات عديدة، يأتي في المقدمة منها ذلك الجدل حول كون خالد سعيد مات منتحراً – وفقاً لرواية رجال الأمن – أم يستحق لقب شهيد؟ ففي العمق من مقاومة السلطات والتشهير بممارساتها القمعية يظل الوعي مشدوداً نحو تشوهات الواقع والصراعات التي مازالت تفرق جماعات الثورة المصرية الرائعة حتى الآن. وعلى الرغم من ذلك فإن أهم ما يميز النقاشات العديدة في الفترة الممتدة

من إنشاء موقع "كلنا خالد سعيد" حتى اندلاع الثورة – الرغبة العارمة في إيجاد حوارات هادفة ومهذبة، فقد لوحظ أن الاتجاه العام من التعليقات كان يتجه لنبذ الخلافات والتركيز على ما يؤسس إجماعاً واسعاً بين المستخدمين نحو القضايا المجتمعية المهمة، وعلى رأسها قضايا التعذيب وقمع الشرطة والأجهزة الأمنية المختلفة. وعلى الرغم من ارتباط مواقع التواصل الاجتماعي – عموماً – بالانفلات في فهم الحرية، ذلك الانفلات المرتبط بفعل الممارسة في أشكاله الأولية البسيطة، الذي تظهر تجلياته في استخدام البعض للغة بذيئة ومسيئة للآخرين، فإن الاتجاه العام بين المستخدمين كان يحض على ضرورة قبول آراء الآخرين وممارسة الحوار والنقاش دون شتائم أو ألفاظ نابية.

الخاتمة:

مثلت المدة الممتدة من يونيو 2010 حتى اندلاع الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير 2011 تجربة للشباب على وجه الخصوص من أجل ممارسة ثورات صغرى متتالية عبر العديد من الوقفات الصامتة التي بدأت في أعقاب مقتل الشاب خالد سعيد، وامتدت طوال الشهور التالية. ويمكن القول إن الدراسة قد خرجت بمجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

1 – أدى الحدث المرتبط بمقتل الشاب خالد سعيد دوراً كبيراً في حشد الأفراد وتوجيه المستخدمين من أجل التعبير عن غضبهم مما حدث وإثارة التساؤل الذي يمثل أول بدايات الممارسة السياسية: لماذا حدث ما حدث؟

2 – مثلت الوقفات والممارسات المرتبطة بالموقع تدريباً مهماً للمستخدمين ارتبط بتطوير الفعل السياسي، وإعادة تشكيل الوعي الخاص بهم، وتدعيم فهم السياقات اليومية لكيفية التعامل مع الأجهزة الأمنية ومراوغتها، وخلق آليات جديدة من أجل مواجهتها وفضحها.

3 – مثلت جملة الممارسات التي تمت خلال هذه الوقفات الصامتة مخزوناً في ذاكرة المستخدمين لموقع خالد سعيد وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى بشكل عام، وذاكرة الشباب منهم بشكل خاص، استدعي بسهولة طوال أيام الثورة المصرية. فمن يطلع على طبيعة الوقفات الصامتة ويشاهد تجمع المصريين – صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، مسلمين ومسيحيين، منقبات ومحجبات وغير محجبات، وغيرهم الكثير من جميع الشرائح الاجتماعية – يدرك تماماً أن هذه الوقفات وغيرها

من أشكال التعبير عبر "الإنترنت" مثلت تدريباً مسبقاً على الفعل الثوري الذي تحقق بدرجة أكبر وأشمل طوال أيام الثورة.

4 – بينت الدراسة أن ممارسات الواقع الافتراضي عبر الموقع المدروس ترتبط أيديولوجياً وسياسياً بالواقع الفعلي، وتعيد تشكيله بمواصفات الوعي العقلاني المشيد عبر الممارسات التكنولوجية الإلكترونية بأدواتها المختلفة والمتنوعة.

5 – كشفت الدراسة أن ما قام به المواطنون العاديون عبر "الفيسبوك" جعلهم يقتربون من مهنة الصحافة والمراسلين؛ فقد أخذ هؤلاء المواطنون العاديون المشاركون في أحداث الثورة وما قبلها على عاتقهم مهام الصحفي والمراسل، ونقلوا ما يحدث في ميدان الثورة عبر الكلمة والصورة والفيديو مستخدمين في ذلك جميع مواقع "الإنترنت" المتاحة من "فيس بوك" و"تويتر" و"يوتيوب"، وغيرها.

6 – على الرغم من ذلك فإنه لا يمكن القول إن "الفيسبوك" وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي هي السبب في اندلاع ثورات الربيع العربي بما فيها الثورة المصرية، بقدر ما يمكن القول إن استخدام هذه الوسائط ساعد وحفز على التسريع باندلاع هذه الثورات، وأمدها بعناصر قوة جديدة وغير مسبوقة في تاريخ الثورات البشرية.

7 – يعني ذلك أن الثورات العربية ما زالت سيفاً مصلتاً على حكام المنطقة الطغاة، سواء وُجدت "الإنترنت" ووسائطها أم لم توجد. فأوضاع المنطقة المتدهورة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً تمثل بيئة مناسبة جداً للتوترات والقلاقل السياسية، ومن ثم اندلاع الثورات، لكن الأمر الذي لا شك فيه أن استخدام "الإنترنت"، عبر أبرز وسائطها وهو "الفيسبوك"، مثل آلية جديدة ساعدت في نجاح هذه الثورات ومفاجأة الأنظمة العربية الجامدة، وفضحها محلياً وإقليمياً وكونياً.

8 – وأخيراً تتفق الدراسة جزئياً مع رأي كل من وارف وجريمس Warf and Grimes القائلة: إنه "من المخاطر السياسية المرتبطة بالفضاء الإلكتروني أنه يمكن أن يصبح بديلاً غير فعال للسياسة في العالم الواقعي" (Warf and Grimes, 1997; Guthrie, 1999)، وذلك إذا ما اعتمد على هذه الممارسات الإلكترونية فقط دون

النزول إلى الواقع الفعلي والارتباط به. ولعل ذلك هو ما تقوم به التيارات الدينية في مصر الآن من خلال استخدام وسائط التكنولوجيا الحديثة في التواصل مع الآخرين، وعدم إهمال الشارع المصري بتنويعاته المختلفة في الوقت نفسه. ويمكن القول إن التوسع في استخدام "الإنترنت" ومحو أمية التعامل معها يمكن أن يفيد التيارات غير الدينية مثل الليبرالية واليسارية وربما الدينية المعتدلة على المدى البعيد، لكن في غياب إمكانية التعامل مع "الإنترنت" وقلة استخدامها النسبي في مصر فإن هذه الوضعية سوف تفيد التيارات الدينية المتشددة بسبب قدراتها الهائلة على التواصل الفعلي وجهاً لوجه مع المواطنين من خلال استخدام المسجد أو الكنيسة كأهم أداة للتأثير السياسي والأيديولوجي في العالم العربي بعامة ومصر بخاصة، وهو ما يستدعي القيام بالمزيد من الدراسات المستقبلية التي يمكنها أن ترصد حجم التأثيرات الخاصة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة في ضوء التحولات السياسية والاقتصادية والتعليمية المختلفة، ومن ثم أتستمر هذه الوسيلة محتفظة بالتأثيرات التي حازتها إبان اندلاع ثورات الربيع العربي أم أن الواقع العربي سوف ينتج وسائل جديدة أكثر تأثيراً وانسجاماً مع العقلية المصرية؟.

المراجع :

إسلام حجازي (2009). **الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسي، ظاهرة الفيس بوك في مصر**. القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية.

إنجي محيي الدين وهالة الزغندي، وأحمد سلطان (2011). **أجندة الثورة**. القاهرة: دار الكتب للنشر والتوزيع.

إيهاب الزلاقي (2006). **خصم عنيد: "الإنترنت" والحكومات العربية**. القاهرة: الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان.

دون تايسكوت (2012). **جيل "الإنترنت"، كيف يغير "الإنترنت" عالمنا؟** القاهرة: كلمات عربية.

دينا شحاتة (2011). **الحركات الشبابية وثورة 25 يناير**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

ريهام مجدي (2011). **شعب آخر: تاريخ ثورة 25 يناير على "الفيسبوك" والتويتر**. القاهرة: بوك هاوس للنشر والإعلام.

السيد بخيت (2012). **"الإنترنت" كوسيلة اتصال جديدة**. القاهرة: دار الكتاب الجامعي.

السيد بخيت (2000). **الصحافة و"الإنترنت"**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

علي عبدالله (2012). **شباب الفيس بوك والعالم الافتراضي**. القاهرة: وكالة الصحافة العربية.

فاطمة الزهراء عبدالفتاح (2012). **المدونات الإلكترونية والمشاركة السياسية**. القاهرة: دار العالم الثالث.

فتحي حسين عامر (2011). **وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

محمد السيد حلاوة ورجاء العشماوي (2011). **العلاقات الاجتماعية للشباب بين دردشة "الإنترنت" والفيس بوك**. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

محمد سيد ريان (2011). **كيف تفجرت الثورة في 25 يناير؟ الـ "فيسبوك" وأدوات التكنولوجيا الثورية**. القاهرة: دار الكتب للنشر والتوزيع.

محمد العجاتي، محرر (2012). الأنماط غير التقليدية للمشاركة السياسية للشباب في مصر: قبل وبعد وأثناء الثورة. أعمال ندوة منتدى البدائل العربي للدراسات. القاهرة: روافد للنشر والتوزيع.

محمد علي البسيوني (2008). **دولة الفيس بوك**. القاهرة: دار الشروق.

محمود الرشيدي (2012). **"الإنترنت" والفيس بوك: ثورة 25 يناير 2012 نموذجاً**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

مينا زكري (2008). **خطوات على طريقة الدعم المتبادل بين "الإنترنت" وحقوق الإنسان**. الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان.

وحيد عبدالمجيد (2011). **ثورة 25 يناير: قراءة أولى**. القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع.

Acquisti, A. and Gross, R. (2006). *Imagined communities: Awareness, Information Sharing, and privacy on the facebook*. Carnegie Mellon University.

Alqudsi-ghabra, T. (2012). Creative use of social media in the revolutions of Tunisia, Egypt & Libya. *International Journal of Interdisciplinary Social Sciences*. 6: 147-158.

Alexander, A. & Aouragh, M. (2011). The Egyptian experience: Sense and nonsense of the Internet revolution. *International Journal of Communication*. 5: 1344-1358.

Ayres, Jeffrey M. (Nov. 1999). From the streets to the internet: The Cyber-diffusion of contention. *Annals of the American Academy of Political and Social Science*. 566:132-143.

Berdal, S. (August 2004). Public deliberation on the web: A Habermasian inquiry into online discourse. Hovedfag Thesis. University of Oslo, Department of Informatics. Retrieved from http://www.duo.uio.no/publ/informatikk/2004/20535/SimonBerdal.pdf

Best, Samuel J. and Krueger, Brian S. (Jun. 2005). Analyzing the representativeness of Internet political participation. *Political Behavior*. 27 (2): 183-216.

Boulos, Kamel M.N. and Wheeler, S. (2007). The emerging Web 2.0 social software: an enabling suite of sociable technologies in health and health care education. *Health Information and Libraries Journal*. 24: 2-23.

Boyd, D. and Hargittai, E. (2 August 2010). Facebook and privacy settings: Who cares? First Monday. 15 (8). Retrieved from http://firstmonday.org/htbin/cgiwrap/bin/ojs/index.php/fm/article/viewArticle/3086/2589

Cairncross, F. (1997). *The death of distance: How the communication revolution will change our lives*. London: Orion Business Press.

Carroli, L. (1997). Virtual encounters: Community or collaboration on the internet? Leonard. *Fifth Annual New York Digital Salon*. 30 (5): 359-363.

Castells, M. (1989). The informational city: Information technology, *Economic Restructuring, and the urban-regional process*. Oxford and New York: B. Blackwell.

Castells, M. (1996). *The Rise of the network society*. Vol. 1 of the information age: economy, Society, and culture. Cambridge, Mass., and Oxford: Blackwell.

Castells, M. (1997). *The Power of identity*. Vol. 2 of The information age: Economy, Society, and Culture. Cambridge, Mass., and Oxford: Blackwell.

Chebib, N. & Sohail, R. (2011). The Reasons social media contributed to the 2011 Egyptian Revolution, *International Journal of Business Research and Management* (IJBRM).2 (3): 139-162.

Chepesiuk, R. and Werberg, S.(Sep., 1998). Bringing the internet to the developing World *American Libraries*. 29 (8):55-58.

Chung, J. (Sept./Oct. 2008). Comparing online activities in China and South Korea: The internet and the political regime. *Asian Survey*. 48.(5): 727-751.

Coleman, S. (2005). Blogs and the new politics of listening. *The Political Quarterly*. 76 (2): 272-280.

Cukier, K. Neil. (Nov.- Dec. 2005). Who will control the internet? Washington Battles the World. *Foreign Affairs*. 84(6): 7-13.

DiNucci, D. (1999). Fragmented future. print 53 (4): 32. Retrieved From: http://darcyd.com/fragmented_future.pdf.

Drezner, D. W. (Spring/Summer 2010). Weighing the scales: The internets effect on state-society relations. *The Brown Journal of World Affairs*. XVI (ii).

Eltahawy, M. (Fall 2008). *The Middle Easts generation facebook*. World Policy Institution.

Faris, D. (Fall 2008). Revolutions without revolutionaries? Network Theory, Facebook, and the Egyptian Blogosphere. *Arab Media & Society*. 6. Retrieved from http://www.arabmediasociety.com/?article=694

Feely, K. and Gill, S. (August 2011). Casebook: The power of social networking technology to change policy, Practice and Management. *Policy & Practice*. 69 (4):12- 24

Fisher, B.; Margolis, M. and Resnick, D. (Spring 1996). Breaking ground on the virtual frontier: surveying civic life on the internet. *The American Sociologist*. 27 (1):11-29.

Guillén, M. F. and Su?rez, S. L. (Dec. 2005). Explaining the global digital divide: Economic, Political and sociological drivers of cross-national internet use. *Social Forces*, 84 (2): 681-708.

Gunawardena, C. N.; Hermans, M. B.; Sanchez, D.; Richmond, C.; Bohley, M. and Tuttle, R. (March 2009). A Theoretical framework for building online communities of practice with social networking tools. *Educational Media International*. 46. (1):3-16.

Guthrie, D. (Winter 1999). A Sociological perspective on the use of technology: The adoption of internet technology in U.S. organization. *Sociological Perspectives*. 42 (4):583-603.

Harb, Z. 2011. Arab revolutions and the social media effect. A *Journal of Media and Culture*. 14 (2) Retrieved from: http://journal.mediaculture.org.au/index.php/mcjournal/article/viewArticle/364

Hick, S. and Halpin, E. (May 2001). Children's rights and the internet. *Annals of the American Academy of Political and Social Science*. 575:56-70.

Jackson, K. M.; Dorton, H. and Heindl, B. (March 2010). A celebration that defined a generation: Grant Park, New Media, and Barack Obamas Historic Victory of the US Presidency. *The Journal of American Culture*. 33 (1), 40-51.

Jordan, T. (April 1999). Cyberpower and the meaning of online activism. *Cybersociology Magazine*: Issue Five. Retrieved from http://www.cybersociology.com/files/5_timjordan_cyberpower.html

Karolak, M. M. (Summer 2011). Civil society and WEB 2.0 Technology: A study of social media in the Kingdom of Bahrin. *Arab Media and Society*. Issue 13. Retrieved from http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20110531112812_Karolak.pdf

Khamis, S. and Vaughn, K. (Summer 2011). Cyberactivism in the Egyptian Revolution: How civic engagement and citizen journalism tilted the balance. *Arab Media and Society*. Issue 13. Retrieved from http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20110603105609_Khamis.pdf

Keren, M. Blogosphere: *The new political Arena*. (2006). New York: Rowman & Littlefield.

Lambert, A.G. (2008, April). *Future of learning: everything you wanted to know about Web2.0*. Chief learning officer. Retrieved from http://www.clomedia.com/events/Webinars/2008/March/191/index.php

Lerner, M. Y. (Dec 2010). Connecting the actual with the virtual: The internet and social movement theory in the Muslim World-The cases of Iran and Egypt. *Journal of Muslim Minority Affairs*. 30 (4): 555-574.

Lin, K. and Lu, H. (2011) Intention to continue using facebook fan pages from the perspective of social capital theory. CyberPsychology, *Behavior, and Social Networking*. 14 (10).

Lynch, M. (December 2011). The Big think behind the Arab Spring. *Foreign Policy*. Retrieved from: http://www.foreignpolicy.com/articles/2011/11/28/the_big_think?page=0,2

Mansour, E. (2012). The role of social networking sites (SNSs) in the January 25th Revolution in Egypt. *Library Review*. 61 (2): 128-159.

Mohamed, A. S. (2011). The Political Discourse of Egyptian Blogs: A case study of Egyptian awareness. SEACHANGE Art, *Communication, Technology*. 2: 40-113. Retrieved from ttp://www.seachangejournal.ca/pdf/Political%20Discourse%20of%20Egyptian%20Blogs.pdf

Muijs, D.; West, M. and Ainscow, M.. (March 2010). Why network? Theoretical perspectives on networking. School Effectiveness and School Improvement. 21 (1): 5.26.

Olsson, T. (October 2008). For Activists, for potential voters, for consumers: Three modes of producing the civic web. *Journal of Youth Studies*. 11(5): 479-512.

Peterson, M. A. (Summer 2011). Egypt's media ecology in a time of revolution. *Arab Media and Society*. 14. Retrieved from http://www.arabmediasociety.com/articles/downloads/20110531103710_Peterson.pdf

Pickles, J., ed. (1995). *Ground truth: The social implications of geographic information systems*. New York: Guilford Press.

OReilly, T. (2005, September 30). What is Web 2.0?: Design patterns and business models for the next generation of software. Retrieved From http://www.oreillynet.com/pub/a/oreilly/tim/news/2005/09/30/what-is-web-20.html

Park, N.; Kee, K. F. and Valenzuela S. (2009). Being immersed in social networking Environment: facebook groups, Uses and gratifications, and social Outcomes. cyberPsychology. 12(6): 729-733.

Sabadello, M. 2011. *The Role of new media for the democratization processes in the Arab World*. Retrieved From: http://projectdanube.org/wp-content/uploads/2011/10/The-Role-of-New-Media-for-the-Democratization-Processes-in-the-Arab-World.pdf

Saletan, W. (2011). Springtime for Twitter: Is the internet driving the revolutions of the Arab Spring? Slate (http://www.slate.com/id/2299214/).

Solomon, S. (2012). Cascades in Cairo: The role of facebook and twitter in the Egyptian Revolution of 2011. A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the award of honors in international politics Edmund A. Walsh school of foreign service Georgetown University.

Teitelbaum, J. (Spring 2002). dueling for "Da'wa": state vs. society on the Saudi Internet. *Middle East Journal*. 56(2): 222-239.

Tolbert, J. C. and McNeal, R. S. (Jun. 2003). Unraveling the effects of the internet on political participation?. *Political Research Quarterly*. 56 (2): 175-185.

Valenzuela; S.; Park, N. and Kee, K. F. (2009). Is there social capital in a social network site?: Facebook use and college students life satisfaction, Trust, and Participation, *Journal of Computer-Mediated Communication*. 14: 875-901.

Warf, B. and Grimes J. (April 1997). Counterhegemonic discourses and the internet. *Geographical Review*. 87(2): 259-274.

Wenger, E.; McDermott, R. & Snyder, W.M. (2002). *Cultivating communities of practice. A guide to managing knowledge*. *Cambridge*, MA: Harvard Business School Press.

Wood, J. (December 2009). Connecting activists: Unions and social networking: A Report From the U.K. working USA: *The Journal of Labor and Society*. 12: 629-639.

Zhuo, X. and Wellman B., Yu J. (2011). Egypt: The first internet revolt? Peace-Magazine.org (http://www.peacemagazine.org/archive/v27n3p06.htm).

قدم في: مايو 2012

أجيز في: نوفمبر 2012

The Role of Facebook in the Outbreak of the Egyptian Revolution. A Sociological Study of "We Are All Khaled Said" Website

Saleh S. Abdelazim*

The main aim of the current study is to identify the role of Facebook in the January 25th revolution through a focus on ''We are all Khaled Said'' Page, which was established on the 10th of June, 2010. The Study also seeks to identify the mechanisms which have been used by the page in the period before the revolution to highlight the aggression of the Egyptian government against their citizens.

Methodologically, this study depends on content analysis, where it focuses on all the pages posts since its establishment till the outbreak of the revolution. By using this method, the study analyzes the pages, pictures, songs, clips, and readers comments which led to portray the main characteristics of the whole discourse of the site.

In the light of this analysis it cannot be said that Facebook and other social networking sites are the cause of the outbreak of Arab Spring revolutions, including the Egyptian Revolution, as it could be argued that the use of these social networks has helped in stimulating and accelerating the outbreak of these revolutions, providing them with new and unprecedented power in the history of human revolutions.

Keywords: Social networking, Facebook, January 25th revolution, ''We are all Khaled Said'' Site, Content analysis, New social movement.

* Dept of Sociology, Faculty of Arts, Ain Shams University, Egypt.